www.awu.sy

الأسبوع الأدبي

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي - "السنة الثلاثون" العدد: "1521" الأحد 2016/12/25م - 25ربيع الأول1438هـ | 16 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

•أ.د.نضال الصالح

الافتتاحية

بـــابُ الفـــــرَج

حشدٌ من الناس في ساحة أعرفها، أمام مبنى أعرفه، في مدينة أعرفُها، ثمّ يهدأ كلُّ شيء، يغيبُ، لا ساحةَ، لا مبنى، لا أحدَ، لا أحد.

ترجّني أمّي من كتفيّ، تمسحُ العرَقَ الطائشَ في جبيني، وشأنها كلّ مرة تستعيذ، تبسملُ، تحوقلُ، ثمّ تغطّ الشاشَ في ماء مثلّج كانت أعدّته قبل أن تأوي إلى النوم، فيستقرّ فوق جبيني الجمر، وعندما تطمئن إلى أنني بلغتُ قاعَ النوم، تُهرعُ إلى ثوب صلاتها، وبين ركعة وأخرى تطيلُ السجودَ، وتدعو لي بأن يباركني الأربعون ولياً من أولياء «الصالحين»، فلا أرى ما أراه، بل ما كنتُ أهذي به كلّ ليلة، ثمّ تشتمُ بصوت أكادُ أسمعه: «أبو الكتب»، ثمّ تلحقُ الشتيمة بدعاء آخر: «الله يقصف عُمر كلّ مين كان السبب».

كلَّ يوم، وقبل أن أعودَ من المدرسة إلى البيت، كنتُ أمضي إلى دار الكتب الوطنية في «باب الفرج». أمطّ طولي ما استطعتُ، أقف على أصابع قدميّ، ليراني الموظف من النافذة التي يجلس وراءها، فيقرأ ما دوّنتُ على البطاقة، ثمّ يدفع بالكتاب إليّ. وكلّ يوم، بل كلّ ليلة، كانت أمّي تنهضُ على الصوت نفسه الذي كانَ يمزّقُ هدأتها بعد نهار شاقّ في العمل على آلة الخياطة، وفي شؤون سبعةٍ من الأطفال ورجلٍ ما إن كانَ يضع رأسه على الوسادة حتى كانَ يغطّ في النوم بعدَ أنْ أعياهُ النهارُ في اللهاث وراءَ ما يقيه الحاجة إلى أحد.

بابُ الفرج، البابُ الذي أنشأه الظاهر غازي، ثمّ هُدمَ مطلع القرن العشرين ولم يبقَ منه غيرُ برجه الجنوبيّ. الساعةُ الباسقةُ في منتصف الساحة، الشاهدةُ على عمليات الإعدام بالشنق منذُ الاحتلال العثمانيّ. دارُ الكتب الوطنية. الكتبُ. الأحلامُ / الكوابيسُ الآنَ أيضاً وقد دهمَ حلبَ جرادٌ من معظم جهات الأرض. وكلّ ليلةٍ، كلَّ ليلةٍ أهذي بالحلم / الكابوس نفسه، الحلم الذي يتقافزُ في خلفية الصور منه كُتّابٌ زيفٌ، إعلاميون زيفٌ، ناشطون، سياسيون. ربيعٌ زيفٌ، ثوراتٌ، فضائياتٌ، ملوكٌ، أمراء، أصحاب سموّ، فخاماتٌ. زيفٌ، زيفٌ، زيف. زيفٌ طاغٍ، يلتهمُ الألوانَ كلّها، ولا يُبقي منها سوى الأسود. فأصرخُ، أصرخُ حتى أخدشَ هناءةَ الليل: أيتها السماءُ من أينَ هذا الطميُ كلّه، العماءُ كلّه، الخونةُ كلّهم، بيّاعو الأوطان، العمائمُ الدنسُ، الساسةُ الجَربُ، الدولُ الذئابُ، القادةُ الخرَفُ الخِرافُ، القادةُ الخشبُ الدمى، شهودُ الزور، الأفّاقون، تجّارُ الدم، الأصدقاءُ الأعداءُ، الانتهازيون، حمّالو حقائبِ السادةِ، الأصدقاءُ القتلةُ، هذا الدمُ، الدمُ، الدمّ؟!

أصرخُ، أصرخُ، فيرتطمُ الصوتُ بالصوتِ، فلا أمّ لي الآنَ فتُهرعُ إليّ، تستعيذ، تبسملُ.. ثمّ تغطّ الشاشَ في ماء مثلّج، فيستقرّ فوق جبيني الجمر.. ثمَّ.. ثمّ تشتمُ بصوت أكادُ أسمعه: «أبو..»، ثمّ تلحقُ الشتيمةَ بدعاء آخر، بأن «يقصف اللهُ عُمر كلّ مين كان السبب». وكنتُ، قبلَ أن يتداعى هذا الجرادُ، أرتّبُ العالَمَ على هواي، أستجمعُ طينه بين كفيّ، وأعيدُ تشكيله، وعندما أرتطمُ بالزيفِ أستعيدُ بيتَ الشاعر القديم: «ما أطيبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حجرٌ، تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ». وكنتُ، وكلّما دهمني يأسٌ، أستعيدُ وجه ليلى، ابنة الجيران، الذي تورّدَ، فكاد يصير بلون الجمر، عندما أهديتها أوّل وردة، فأهدتني أوّل لثغة بالحياة. وجهَ هالة، الساحرة التي فتنتني منذ رأيتها أول مرة في دار الكتب، التي كانت تغدقُ عليّ من نُعميات روحها روحاً لروحي قبلَ أن تشظّي جسدَها قذيفةٌ من «قذائف جهنّم».

حشدٌ من الناس في ساحة أعرفها، أمام مبنى أعرفه، في مدينة أعرفها، ثمّ يظهرُ من بين الحشد بابٌ، ومن الباب يبرزُ وجهُ امرأة أعرفها. امرأة تشبه أمّي. تشبه ليلى. تشبه هالة، ولم تكد المرأة تزيحُ الوشاحَ عن وجهها، حتى هتفتُ: بابُ الفرَج.. سورية.

د. نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب.. يتعرض لوعكة صحية مفاجئة

تعرض السيد رئيس الاتحاد الأستاذ الدكتور نضال الصالح لوعكة صحية مفاجئة واستدعته لإجراء عملية جراحية مستعجلة.

أعضاء المكتب التنفيذي وأعضاء الاتحاد والعاملون فيه يتمنون الشفاء العاجل للسيد رئيس الاتحاد، وعودته في أقرب وقت إلى ممارسة مسؤولياته في الاتحاد.

الأستاذ الدكتور نضال الصالح رئيس الاتحاد يتلقى رسالة من الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب الشاعر الأستاذ حبيب الصائغ، هذا نصّها:

الأستاذ الدكتور/ نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب بسورية
مساعد الأمين العام

تحية طيبة.. وبعد:

فقد علمنا بنبأ الأزمة الصحية التي تعرضتم لها مؤخرًا، واستلزمت دخولكم المستشفى وإجراء عملية جراحية دقيقة، وتماثلكم للشفاء بعون الله تعالي. وإننا إذ نهنئكم بنجاح العملية الجراحية، باسمي وباسم السادة الزملاء رؤساء الاتحادات والروابط والأسر والجمعيات، لنتمنى لكم موفور الصحة والسعادة والهناء، وعودتكم سريعًا لممارسة إبداعاتكم، مع كامل اعتزازنا بأدباء وكتاب سورية الشقيقة. وتقبلوا فائق التقدير والاحترام،،،

أبو ظبي في: ٢٢ / ١٢ / ٢٠١٦.

وقد ردّ السيد رئيس الاتحاد برسالة هذا نصها:

الشاعر الكبير الأستاذ حبيب الصائغ المحترم

الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب

تحية، وتقديراً، وبعد:

فقد تلقيت، بكثير من الغبطة، رسالتكم النبيلة المتضمنة تهنئتكم بنجاح العملية الجراحية التي أجريت لي بعد تعرضي لوعكة صحية مفاجئة، وإذ أشكر لكم تفضلكم بهذه المشاعر الدالّة على رقيّ أخلاقكم، وحرصكم على بناء علاقة أسرية بين الأمانة العامة للاتحاد ورؤساء الاتحادات والروابط والجمعيات والأسر الأدبية العربية، يطيب لي تقدير هذه المشاعر العالية والغالية، وتأكيد انتمائنا، في اتحاد الكتاب العرب في سورية إلى هذا الصرح الثقافي الشامخ الذي تبذلون من أجله جهوداً جديرة بالإكبار ليكون فضاء عربياً جامعاً للأدباء والكتّاب العرب المؤمنين بأمتهم، والمدافعين عن قضاياها، والحريصين على وحدتها مهما يكن من أمر ما تتعرض له من محاولات التذرير، والهيمنة على إراداتها وحقّها في حياة كريمة.

وتفضلوا بقبول فائق الشكر والتقدير والامتنان.

دمشق في 22 / 12 / 2016.

د. نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتّاب العرب في سورية
مساعد الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب
أستاذ النقد الأدبيّ الحديث في جامعة دمشق

الدولة الوطنية وتربية وبناء الشباب

•د. فاضل النجادي ـــ ص2

حين يضيق عنق الزجاجة بمكونه الثقافي

•علي قاسم ـــ ص4

أكذوبة الحق التاريخي لليهود في فلسطين

•د. غازي حسين ـ ص 6

الدولة الوطنية وتربية وبناء الشباب

•د. فاضل النجادي

إنَّ الشباب موضع اهتمام ورعاية المجتمعات منذ بدء الخليقة، كونهم الجيل الواعد والامتداد الطبيعي للآباء والأجداد، وبناة المستقبل وحماة الوطن، ولذلك عنوا بتربيتهم وبنائهم وإعدادهم إعدادا رصيناً وفق فلسفة المجتمع وتطلعاته المستقبلية لتحمل المسؤولية التي سوف تلقى على عاتقهم مستقبلاً، وكانت تربيتهم قائمة على التعليم والتدريب والتوعية، وصولا إلى فهم ووعي ظروف المرحلة التي يعيشونها والمخاطر المحيطة بهم وما مطلوب منهم في مواجهة هذه المخاطر وتحدي الصعاب بالعلم والوعي وخلق مستقبل أفضلهم.

والدولة الوطنية التي نعنيها هي الدولة المستقلة، والتي تتمتع بسيادة كاملة، وتملك مشروعاً وطنياً حضارياً يضمن مستقبل شعبها ويحقق له حياة حرة كريمة.

والشباب مرحلة عمرية تبدأ من فترة البلوغ حتى الثلاثين من العمر، وهي شريحة عمرية مهمة ذات قدرة وفعالية للبذل والعطاء لبناء المجتمع وحمايته بسواعدهم وقدراتهم الجسمية والعقلية والإبداعية، وهم عماد الأمة وبناة مستقبلها والمدافعين عن حياضها وتحقيق مشروعها الحضاري النهضوي التنويري.

إن لكل مجتمع من المجتمعات فلسفة خاصة تتضمن عاداته وتقاليده وقيمة ونظرة للحياة وتوجهاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية تبعاً لتطور الحياة لتلبية مستلزماتها الآنية والمستقبلية، وبناء على ذلك ترسم الأهداف التربوية لكل شريحة من المجتمع بضوء الفلسفة العامة له، فتشخص الفئات والشرائح المستهدفة من التربية والتعليم وتعد المناهج والمستلزمات الضرورية لها، وبذلك تكون عناصر التعليم: (معلم، منهج، متعلم، مشرف، مستلزمات).

على الرغم من أن كل الفئات العمرية مستهدفة بعملية التربية والتعليم والتثقيف من الطفل الرضيع إلى الكهل، كحق إنساني مضمون وفق الشرائع السماوية والوضعية، لكن فئة الشباب هي الأولى بالرعاية لأهميتها المستقبلية، ويظهر هنا السؤال الآتي: لماذا الشباب؟.

ويرى بعض التربويين والمتخصصين، أن الاهتمام بالشباب، يعود إلى كونهم:

أ. صفحة بيضاء قليلة الأخطاء، لذلك قالوا: خذوهم صغاراً.

ب - أسهل انقيادا وتقبلا للتعلم، لأنهم مفرغون وغير مشغولين بأي مسؤولية.

ت - أطول عمراً، مما يتيح لهم المساهمة بعملية بناء الوطن وتطوره.

ث - أكثر أنتاجاً وعطاءً في المشروع الحضاري الذي ينشده المجتمع.

ج. أقدر على سرعة الاستجابة للتحديات التي تواجهه المجتمع.

ح. يتميزون بالشجاعة والإقدام والتضحية والإيثار.

خ. أصبر في المحن والشدائد والملمات.

د. يملكون طاقات وقدرات إبداعية خلاقة وحيوية دائبة.

ذ. بناة فاعلون في المشروع الحضاري لبناء مستقبل الأمة الأفضل.

ر. يحملون أفكارا نيرة خالية من عقد وترسبات المجتمع السلبية.

ز. يملكون قدرة بدنية عالية تجعلهم يتجاوزون الأزمات والصعاب التي تواجههم.

س. يتحلون بقدر عالٍ من الانضباط والحزم في التنفيذ.

> كل الفئات العمرية مستهدفة بعملية التربية والتعليم والتثقيف من الطفل الرضيع إلى الكهل، كحق إنساني مضمون.

وقد سمي القرن العشرين عصر الأيديولوجيات والأفكار والثورات والتحرر من الاستعمار وبناء المشروع الحضاري النهضوي الخاص بكل دولة، فظهرت الدول الوطنية التي تهدف إلى تحقيق أهدافها الوطنية والقومية، وفق النظريات السياسية والاقتصادية التي تؤمن بها، وظهرت تجارب عديدة، منها ما فشل في مشروعه ومنها ما زال يصر على مشروعه ويدافع عنه ويحقق مكاسب ومنجزات. وأصبحت تجارب يشار إليها بالبنان، كالتجربة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي السابق ودول المعسكر الاشتراكي والتجربة الصينية والكورية، وغيرها والتجربة الرأسمالية في اليابان وألمانيا والدول الاسكندينافية.

كل هذه التجارب قامت على أسس علمية لتربية أفراد المجتمع ولا سيما الشباب على مبادئ وقيم وطموح وأهداف هذه الشعوب للنهوض بمشروع حضاري متقدم ينافس مشاريع الدول الأخرى أو يتفوق عليها.

4. التربية والوعي القومي في بلاد الشام.

برز في بلاد الشام منذ بداية القرن الماضي أدباء ومفكرون نادوا بالنهضة العربية وأسسوا الجمعيات والنوادي هدفها نشر الوعي والقومي بين أبناء الأمة والدعوة للوحدة العربية، وقد تأصل الوعي الوطني والقومي في دمشق، ونما فيها الحسُّ بالعروبة والدين والتسامح والمحبة، وقد تأسست أول حكومة عربية في الشام برئاسة فيصل بن الحسين وأسس أول جيش هو الجيش العربي السوري عام 1920م، وأبناء الشام هم الذين حافظوا على العربية وأسسوا المجمع العلمي العربي، وكان دورهم العروبي واضحا في كل مراحل النضال، وكان وعيهم بالدسائس والمؤامرات كبيرا وخير مثال على ذلك، أن طلاب مدرسة مكتب عنبر قد تنبهوا إلى مخاطر وعد بلفور عام 1917م فنددوا به وعرفوا ، إذ خرجوا بمظاهرة ضد الصهاينة والإنكليز يجوبون شوارع دمشق يحذرون من خطر ذلك الوعد المشؤوم، وإن العامة لما رأوا الطلاب خرجوا يهتفون(فليسقط وعد بالفور)، لم يفهموا مقصودهم وصاروا يرددون شعارهم ثقة بأن هؤلاء الشباب المثقفون، ما خرجوا، إلا لأمر مهم فعاضدوهم وكاتفوهم.

وقد أسس الشباب السوري القومي الواعي حزب البعث العربي الاشتراكي عام 1947م، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي، حزباً قومياً اشتراكياً وحدوياً، ولد من معاناة الأمة العربية وظروفها وفي مقدمتها التخلف والجهل والفقر والاحتلال والتقسيم والخنوع، وقد جاءت أفكاره علاجاً لأمراض الأمة هذه، وهو صاحب مشروع عربي نهضوي حضاري يؤمن بالوحدة والتحرر والتقدم والعدالة والمساواة، والعيش المشترك، لأنه يؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع، ويعدُّ الثقافة والوعي بداية التحرر الحقيقي للمواطن وأن الشباب غايته ووسيلته لتحقيق هذا المشروع، ولذلك خص الشباب برعاية خاصة في منهجه التعليمي والتثقيفي على مستوى التعليم الرسمي والأهلي وفي التنظيم الحزبي والتنظيم المهني والمجتمعي، وكان يُوصفَ البعثُ بأنه حزب الشباب وحزب المثقفين.

ويرى البعث أن الشباب الصحيح هو طريق الثورة الصحيحة، وأن من يكسب الشباب يضمن المستقبل، ونفذ البعث برنامجه السياسي منذ 8 آذار عام 1963م، وكثفته الحركة التصحيحية بعد عام 1970م، بالحكمة التي تقول: نعمل باندفاع الشباب وحكمة الشيوخ، لذلك وضع برنامجاً تربوياً وتعليمياً قومياً هادفا في كل المراحل التعليمية والتدريسية وجعل التعليم مجانيا في كل مراحله، مضيفا للتعليم فعاليات تربوية واجتماعية خارج مؤسسات التعليم، من رياض الأطفال صعودا إلى التعليم العالي، متمثلا بتنظيمات: الطلائع والأشبال والفتوة والشباب، وتفعيل الأنشطة في الأندية الرياضية والشبابية وإقامة المعسكرات المتنوعة الهادفة.

إن الحرب الكونية التي شنت على سورية وشعبها والتي استهدفت سيادتها واستقلالها وبنيتها التحتية والاجتماعية والاقتصادية ومنظومة القيم والأخلاق وعيشها المشترك، ولا بد أن يكون هناك عملاً ثورياً وطنياً يصلح ما خلفته الحرب على سورية يساهم به الجميع، تحت شعار: (يعمر الأخيار ما دمره الأشرار)، للرد على العدوان بعملية بناء وأعمار جدية وأولها بناء نفسية الإنسان ولا سيما في مجال الشباب، عن طريق التربية والتعليم والتثقيف وهذا يتطلب:

أ. إعادة النظر بالمناهج التربوية والتعليمية والثقافية والترفيهية، وتقديم مشروع تعليمي متكامل، بما يعيد اللحمة الوطنية، ويزيل ما أفرزته الأزمة، يشمل جميع فئات وشرائح المجتمع، بدأ من البيت وصولا إلى الجامعة مرورا بكل المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني.

ب - أن يبدأ بهذا المشروع من الآن، لأن العدوان لن يتوقف، إلا بمشروع مقابل يواجه هذه التحديات التي طرأت على المجتمع السوري ويعالج آثارها.

ت - أن تكون أهداف المشروع واضحة ومنفتحة على المستجدات والمتغيرات البناءة وملزمة لكل الهيئات والمؤسسات الحكومية والمجتمعية.

ث - أن ينهض المجتمع السوري بكل فئاته ومؤسساته بهذه المسؤولية، كواجب وطني ملزم، لأن الدفاع عن الوطن وبنائه من مسؤولية الجميع.

ج. أن تتبنى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة هذا المنهج بتناغم مع المؤسسات الرسمية المتخصصة.

ح. اعتماد مناهج حديثة متطورة تأخذ بأسباب التقدم العلمي والمعرفي.

خ - توفير الوسائل التعليمية والتربوية المساعدة التي تساهم في الفهم وسرعة الانجاز.

د. توثيق الصلة بين البيت والمدرسة والجامعة والنادي بما يضمن سلامة التوجه.

ذ. تنسيق الأدوار بين المسجد والكنيسة ومؤسسات المجتمع المدني بما يخدم هدف المشروع.

ر. المتابعة الصارمة والتقييم والتقويم المستمر لما تحقق من المشروع، لإصلاح الخلل الذي يحصل أثناء التطبيق.

ز. الانفتاح على تجارب الآخرين، لمواكبة التطور العلمي والإنساني.

س - أن تكون مسؤولية التربية والتعليم مسؤولية وطنية وجماعية.

> لا بد أن يكون عمل ثوري وطني يصلح ما خلفته الحرب على سورية يسهم به الجميع، تحت شعار: (يعمر الأخيار ما دمره الأشرار).

اللغة الأم وأم اللغات

• محمد راتب الحلاق

تحتفل المؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية العربية في هذه الأيام بيوم اللغة العربية. وبهذه المناسبة سأحاول مقاربة مفهوم اللغة الأم وإلقاء بعض الضوء عليه في حدود المساحة المتاحة للمقالة عادة.

اللغة المنطوقة هي الأصل، وبواسطتها يكتسب الطفل لغة مجتمعه وأمته . وقد اتفق على تسمية اللغة التي يتلقاها الطفل عبر التقليد والمحاكاة في طفولته المبكرة بـ (اللغة الأم) ، أقول اللغة الأم ولا أقول لغة الأم : اللغة الأم هي اللغة التي يتكلمها المجتمع من حول الطفل ، وهي لغة الثقافة والعلم والتعليم والإعلام والتبادل التجاري .... ، والتي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل . أما عبارة لغة الأم فملتبسة وغيردقيقة ، لأن الأم البيولوجية للطفل قد تكون محدودة القدرات اللغوية ، وقد تكون أجنبية لا تحسن التكلم بلغة المجتمع والبيئة التي ولد فيها الطفل ، لذلك ، ودفعاً للالتباس فإن بعض الباحثين يطلقون على اللغة التي يتلقاها الطفل في طفولته المبكرة اسم (اللغة الأولى) . ويوضح باحثون آخرون القضية بقولهم : سميت اللغة الأولى التي يتعرض لها الطفل اللغة الأم لأن الطفل يقلد ، أكثر ما يقلد ، الأم وحركات شفتيها والأصوات الصادرة عنها ، وتتكلم الأم في الأغلب الأعم لغة المجتمع ، وحالة الأمهات اللائي لا يتكلمن تلك اللغة تشكل استثناءً ، كما هي حالة الأسر المغتربة ، وحالة الزوجات الأجنبيات . ويضيف هؤلاء الباحثون : إنها اللغة الأم ، أيضاً ، أي اللغة الأساس ، لأن اللغات الأخرى التي يتعلمها الفرد تأتي غالباً في مراحل تالية ، ولا يمكن للطفل أن يتعلم أكثر من لغة واحدة ابتداءً ودفعة واحدة . وبناءً على الفكرة السابقة يمكننا القول : إن اللغة الأم هي أم اللغات بالنسبة للفرد الإنساني ، لأن الفعاليات اللغوية التالية تنبني عليها ، بما في ذلك تعلم اللغات الأخرى ، فاللغة العربية هي اللغة الأم للفرد العربي الذي عاش طفولته المبكرة في المجتمع العربي وهي أم اللغات بالنسبة له ، واللغة التركية هي اللغة الأم للفرد التركي وهي أم اللغات بالنسبة له ، واللغة الفرنسية هي اللغة الأم للفرد الفرنسي وهي أم اللغات بالنسبة له ... وهكذا . وقد لوحظ أن التمكن من اللغة الأم يساعد في التمكن من اللغات الأخرى ، الأمر الذي دفع بعضهم إلى الزعم بوجود ملكة لغوية في الدماغ البشري تسمح بنقل الخبرة اللغوية من مجال لغوي إلى آخر .ويتعلم الطفل مع اللغة ، وبواسطتها ، قيم مجتمعه ، وأخلاقه ، ومعارفه ، وخبراته ، وأهدافه ، وقضاياه ، وطرائق إدراك تلك القضايا والموقف منها .... فاللغة ليست أداة اتصال محايدة كما كان ينظر إليها القدماء ، وليست مجرد ألفاظ وأصوات تصدر عن المتكلم في حالات معينة ، كما قال (ابن جني) في كتاب الخصائص : (حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ...) ، وكما قال (الأسنوي) في شرح منهاج الأصول : (اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني) . اللغة ، حسب التصور الحديث ، حامل لفكر الأمة التي تتكلمها ، ولتراثها ، ولقيمها ..... ، حتى لقد قال بعضهم : إن اللغات تخلق نوعاً من الحدود قد تكون أكثر حزماً في تمييز الأمم من الحدود الجغرافية . فاللغة تملك سلطة روحية ووجدانية خارقة ، ولاسيما في المجتمعات والأمم التي تطرب وتنتشي من سحر البيان وجماله .وبعبارات أخرى أقول : إن الانتماء إلى مجال لغوي معين يعني الانتماء إلى ثقافة محددة ، والانتماء إلى الأمة أو المجتمع الذي يتكلم اللغة السائدة ، مما يحدد الموقف من الذات ومن الآخر ، وقد جاء في الأثر الشريف ما معناه : " ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم ، العربية اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي " ... واللغة ، بهذا المعنى ، تكفي لخلق الانتماء الذي تلتقي عنده القناعات والرموز والتمثلات والعقائد والمواقف وردود الأفعال .... التي تشكل في مجملها هوية الأمة . وهي ، أعني اللغة ، تعبر أصدق تعبير عن هذه الهوية .وحين أقول إن اللغة انتماء فهذا يعني أنها وعاء لثقافة الأمة وقيمها ، ومكون أساس من مكوناتها ، بل إن بعض النظريات المتعلقة بنشوء الأمم قد جعلت اللغة مكوناً كافياً وحده لنشوء الأمة وقيامها . واللغة العربية بالذات هي وعاء للثقافة العربية الإسلامية ، وحاملة للتراث العربي ... وهي ، من ثم ، من أهم الحصون التي تحفظ الهوية القومية العربية ...ولأنها كذلك نجد أن الجماهير العربية تعيش الوحدة عملياً رغم التجزئة المفروضة عليها ، ورغم سايكس بيكو الذي جعلها تحت رحمة سلطات متباينة ومتنابذة ، ومن هنا يمكن أن نفهم أسباب الضغوط والإكراهات التي تتعرض لها اللغة العربية من أعداء العروبة، ولاسيما من قبل القيمين على وسائل الإعلام ،فباتت تلك الوسائل لا تجد حرجا في استخدام اللهجات المحكية مما يسبب سوء التواصل بين المواطنين العرب ، وإنشاء معازل لغوية قد تتعمق كما حدث للغات كثيرة من قبل،

ولن تجدي حملات ما يسمى (تمكين اللغة العربية) في شيء ما لم تتغير سياسة وسائل الإعلام العربية ، ولنبدأ بأنفسنا وبإعلامنا ... أنا لا أدعو إلى إعلام متجهم ، إنما إلى إعلام يحترم عقول ووجدانات المتعاملين معه .

نقطة على حرف • مالك صقور

الحقيقة ولو بعد حين

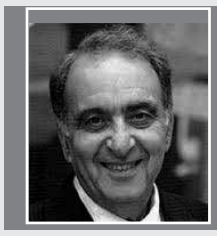

كان الخلاف بين ستالين وتروتسكي، ليس شخصياً فحسب، وليس نتيجة مواقف تكتيكية عابرة، كانت خلافات ستالين وتروتسكي جوهرية واستراتيجية، تتعلق بقضايا الثورة الاشتراكية، ومنها:

1. المسألة القومية.
2 . المسألة الفلاحية.
3 . إمكانية بناء الاشتراكية.

الفروق في النظرات الحاسمة، كانت السبب في النزاع بين تروتسكي وستالين، إضافة إلى التناقض العميق بين شخصيتي الرجلين وطبعهما..

كان ستالين ومن قبله لينين مؤمنين ببناء الاشتراكية التي هي هدف الثورة الفتية، في روسيا، وذلك قبل تحقيق الثورة العالمية، وفق تعاليم ماركس، لكن تروتسكي تمسك بقولة ماركس، حتى تطبق الاشتراكية يجب تحقيق الثورة العالمية، ولما كانت الثورة العالمية بعيدة المنال في تلك الظروف الدولية، رأى لينين وستالين أنه يمكن بناء الاشتراكية، في بلد واحد هو روسيا، وكان الاثنان يؤكدان أن الفلاح الروسي قادر على مهمة بناء الاشتراكية. أما تروتسكي فكان يراوغ في هذا الأمر، وبقي مصرّاً على أن الثورة العالمية هي المقدمة الضرورية لبناء الاشتراكية. متمسكاً بعناد التعاليم الماركسية حول الأممية المطلقة، وأنه من المستحيل بناء الاشتراكية في بلد واحد.

لكن ما أن انقضى عام 1935م، حتى اعترف العالم كله أن الاشتراكية قد بنيت في بلد واحد، أضف إلى ذلك، أن هذا البلد مسلح، ومستعد للدفاع عن نفسه، وصدّ أي هجوم.

فإذا ما تذكرنا، أن الحرب الأهلية بقيت في الاتحاد السوفييتي منذ عام 1918م حتى 1924، أي في العام الذي توفي فيه لينين - وتسلّم ستالين فيه دفّة القيادة، فإن مرحلة بناء الاشتراكية هي عقد واحد فقط، في بلد إقطاعي - رأسمالي، جاهل، وقد استطاع ستالين بإرادة وإدارة فولاذيتين أن يبني الاشتراكية في هكذا بلد، معنى ذلك، أن هذا الاتجاه إنجاز أكثر من عظيم.

لكن كما يقول المؤلف: «من الصعب، طبعاً، على الشخص المغلوب أن يبقى موضوعياً، وهذه الحقيقة يدركها تروتسكي نفسه».

بصراحة: لم يكن يريد بناء الاشتراكية. بل كان يضع العراقيل في وجهها دائماً.

لقد شاهد تروتسكي وأدرك الأحسن، كما يقول المؤلف، لكنه اختار الأسوأ.

«وكان بمقدوره أن يشير بدقة أكبر إلى الخطر الذي واجهه تروتسكي بعد سقوطه، والذي يتعرض له كل مغلوب، وهو «خطر النظر إلى الآفاق التاريخية من وجهة نظر المصير الشخصي». لقد كان يعي تروتسكي هذا الخطر. وكان يدرك الخطأ الذي يمكن أن يرتكبه، كان يرى هذا الخطأ الذي كان مقدراً له أن يغريه. كان يراه وقرّر ألا يرتكبه.. وقد ارتكبه، كان يعرف الأحسن، ولكنه اختار الأسوأ».

لا ينكر أحد أن تروتسكي كان (ثورياً أنموذجياً) وهذا الأنموذج مفيد في زمان النضال الحماسي فقط. لكنه لا يصلح لشيء عندما يكون المطلوب هو العمل الدؤوب الهادئ المنتظم عوضاً عن (الهبّات الحماسية). بعد انتصار الثورة البطولية صار يرى تروتسكي العالم محرفاً. وأصبح هو يدرك الأشياء بصورة غير صحيحة. ففي حين كان لينين قد كيّف نظراته منذ وقت طويل مع الواقع، استمر تروتسكي العنيد بتشبثه الشديد بالمبادئ التي كانت مبرّرة في العصر الحماسي البطولي). لكنها غير قابلة للتطبيق عند تنفيذ المهام التي تتطلبها الآونة الراهنة.

يصل المؤلف إلى نتيجة قائلاً: ستالين كان على حق، وكان بمقدور تروتسكي أن يصمت، وكان بمقدوره، أن يعترف بهزيمته، ويصرّح بخطئه، وكان بمقدوره أن يتصالح مع ستالين، لكنه لم يفعل شيئاً من هذا، فالشخص الذي كان سابقاً يرى ما لا يراه الآخرون، أصبح الآن لا يرى ما يراه أي طفل، قضية التغذية سوّيت، الآلات تعمل، والمواد الخام تستخرج بكميات لا سابق لها، وقد زوّدته البلاد بالكهرباء، والتقانات الحديثة، والتعاونيات الفلاحية أقيمت بصورة غير مسبوقة، وأعطت مردوداً هائلاً. لكن تروتسكي لم يشأ أن يعترف بهذا، وكان يصرّح بأن النهوض السريع، وهذه الوتائر المجموعة في عملية البناء هما اللذان يشترطان عدم متانة هذا البناء.

إن الاتحاد السوفييتي - أو دولة ستالين كما كان تروتسكي يسميه - سيمنى بالفشل عاجلاً أو آجلاً. في حال تعرضه لهجوم الدول الفاشية، وكان تروتسكي يطلق صواعق من الكراهية اللامحدودة للإنسان الذي يجري البناء تحت رايته)، لكن باءت محاولات تروتسكي بالفشل، وازدهرت قضية الاشتراكية - قضية ستالين، فأشيدت المحطات الكهربائية، وتضاعف استخراج الفحم، والحديد والفلزات، وتم بناء صناعة ثقيلة، وارتفعت الأجور، واقتنع الفلاح بالتعاونيات واطمأن لمستقبله، في إنشاء الكلخوزات والسفخوزات. وإذا كان لينين «قيصر الاتحاد السوفييتي، فإن ستالين كان «أغسطسه».

بعدئذ، يقابل المؤلف ستالين، والحديث الذي جرى بينهما لم يكن متفقاً عليه، تحدثا في البداية عن وظيفة الكاتب في المجتمع الاشتراكي، وعن التأثير الثوري الذي يحدثه أحياناً حتى الكتاب الرجعيون كما كان شأن غوغول، على سبيل المثال، (وهذا مثال لم يوفق به المؤلف)، وعن انتماء اللانتجلينس الطبقي «لا طبقيتهما، وعن حرية الكلمة والأدب في الاتحاد السوفييتي، وعن الديمقراطية، وحتى عن عبادة شخصيته. وصف المؤلف شخصية ستالين، وكيف يتكلم دون تصنع ومن دون تزويق، وأنه يستطيع أن يعبّر ببساطة حتى عن الأفكار المعقّدة.

في أثناء المقابلة، تم الحديث عن محاكمات التروتسكيين، شرح ستالين بالتفصيل التهمة الموجهة إلى بياتاكوف وراديك، ولم تكن المواد والشهادات والوثائق بشأنهما معلنة بعد. وضحك ستالين من أولئك الذين يطالبون بتقديم عدد كبير من الوثائق المكتوبة قبل أن يوافقوا على الاعتقاد بوجود مؤامرة. وأشار إلى أن المتآمرين ذوو الخبرة، نادراً ما تكون لديهم عادةً وضع وثائقهم في أمكنة مكشوفة، وبعد ذلك تحدث عن الكاتب - راديك، وهو الشخصية الأكثر شعبية بين المتهمين في المحاكمة التروتسكية الثانية، وكان ستالين يتكلم بمرارة وتأثر، وقد تحدث عن علاقته الودية بهذا الشخص، وخاطبني قائلاً: «أنتم اليهود، أنشأتم أسطورة خالدة هي أسطورة يهوذا». وكان من الغريب جداً أن أسمع من هذا الإنسان الهادئ جداً في العادة وذي التفكير المنطقي مثل هذه الكلمات الحماسية البسيطة، وقد روى لي قصة الرسالة الطويلة التي كتبها له راديك وأكدّ له فيها براءته موردداً الكثير من الحجج الكاذبة، ولكن في اليوم التالي اعترف راديك بذنبه نتيجة الأدلة وشهادات الشهود.

كانت الدعاية الغربية، كما قلت، وكما يشير المؤلف قوية ضد ثورة أكتوبر منذ البداية، فمن الطبيعي جداً، أن تعود هذه الدعاية إلى تشويه النظام السوفييتي ومن ثم تشويه صورة ستالين، وأن هذه المحاكمة غير عادلة، أو أن المتهمين اعترفوا تحت التعذيب أو الضغط، أو التنويم المغناطيسي، أو دس السم الخ.. لكن المؤلف، وهو الكاتب المعروف والصحفي صاحب الخبرة، كان حاضراً في قاعة المحكمة، يقول: «أنا فعلاً لم يتشكل لديّ هذا الانطباع. والأشخاص المتهمون الذين كانوا يمثلون في المحكمة لا يجوز بحال من الأحوال وصفهم بأنهم كائنات معذبة أو يائسة تقف أمام جلادها، وعلى العموم ينبغي ألا نظن أن هذه المحاكمة تتسم بطابع مصطنع أو حتى بطابع احتفالي أو خطابي حماسي».

القاعة التي جرت فيها المحاكمة، ليست بالكبيرة، وهي تتسع لثلاثمئة وخمسين شخصاً تقريباً. وقد جلس القضاة والمدعي العام والمتهمون والمحامون والخبراء على منصة غير عالية. ولا يفصل بين المنصة والجالسين في القاعة أي فاصل، كما لم يكن ثمة ما يشبه قفص الاتهام. كما أن المتهمين أنفسهم بدوا بمظهر رجال منعمين، أنيقي الملبس، يتصرفون بحركات بطيئة غير متكلفة، كانوا يحتسون الشاي وتطل الصحف من جيوبهم.. الخ.. وهذا كله ينفي ما قيل حول التنويم المغناطيسي، أو التعذيب وما شابه، ولقد تأسف المؤلف أسفاً في الاتحاد السوفييتي يمنعون التصوير وتسجيل الصوت على اسطوانات: «أعتقد أنهم لو أتاحوا للرأي العام العالمي الاطلاع، لا على ما قاله المتهمون فحسب، بل على الطريقة التي قالوه بها، وعلى لهجتهم، وتعابير وجوههم، في أثناء ذلك، لأصبح عدد عدم المصدقين أقل بكثير مما هو الآن.

جميع المتهمين اعترفوا، لكن كل واحد منهم اعترف بطريقته الخاصة، والمؤلف لا ينسى كيف كان غيورغي بياتاكوف وهو سيد مربوع القامة في منتصف العمر، ذو صلعة ليست بالكبيرة، ولحية حمراء حادة من الطراز القديم، يتكلم وكأنه يقرأ محاضرته، لقد روى بهدوء كيف كان يلحق الأذى بالقطاع الصناعي الذي عهد به إليه، ويتابع المؤلف تسجيل اعترافات التروتسكيين وخيانتهم العظمى، وبعضهم الآخر اعترف بالتفجيرات التي قام بها لكن الأضرار كانت مادية فقط، أما المهندس فوركين فقد أحدث في نفوس الحضور انطباعاً مذهلاً عندما عمد في كلمته الأخيرة إلى توجيه اللعنات إلى تروتسكي..

لقد اعترفوا أمام الجميع بأنهم مجرمون، قذرون، منحطون.

يعترف المؤلف تحت عنوان: رأي الكاتب، أي عن نفسه قائلاً: علي الاعتراف بأنه على الرغم من أن المحاكمة قد أقنعتني بأن المهتمين مذنبون، فقد ظل مع ذلك سلوك المتهمين في المحكمة غير واضح تمام الوضوح في ذهني.

وفي النهاية، يسجل اعترافات موراوف وراديك وغيرهما، الذين جاؤوا وقالوا: «كنا سنذهب إلى الشرطة، لو لم تسبقنا هي في المجيء إلينا». وهذا ما حصل، إذ ذهب شركاؤهم عندما أحسوّا بالخطر، في وقت مبكر إلى الشرطة، وهذا ما أدّى إلى فضح المؤامرة.

الأمر الأبعد من ذلك، هو اعتراف التروتسكيين، أن تروتسكي كان مستعداً للتعاون مع الفاشيست ضد النظام السوفييتي، وضد ستالين.

هذه شهادة، كما يقولون: «وشهد شاهد من أهلهم».

لقد ظهرت الحقيقة، بعد حين، لكن أكثر الناس لا يقرؤون، أليس هذا الذي حدث ويحدث، حصل ويحصل في سورية، إن الكثير من الثورجيين لجأوا إلى العدو الإسرائيلي، والغربي عموماً، لتقويض الدولة السورية!

سيأتي يوم، وسيعترف هؤلاء، فإن وجدوا من يسامح، فإن الحق العام لا يسامح.

حين يضيق عنق الزجاجة بمكونه الثقافي

•علي قاسم

حاولت التسويات الثقافية الطارئة والمرتجلة أن تكون بمثابة بديل بمرتبة جائزة ترضية حين كانت تستعصي الخيارات الأخرى أو حين تصل الأمور إلى عنق الزجاجة بمكونه الثقافي، وإن كانت المقاييس والاعتبارات المحيطة بها متباينة أو مختلفة، خصوصا في ظل الأزمات المركبة والتي تدفع في أحيان كثيرة إلى الخلط بين الواقعي والافتراضي، حيث تتحول قنوات الفعل الثقافي إلى حامل اضطراري لا تقبل فيها الشراكة مع أي طارئ أو مستجد، وفي الوقت ذاته لا تقوى على البت في الإشكاليات الناتجة بشكل أحادي الجانب.

لكن هذه المسلمات بدت في لحظة ما خارج سياق التداول، وسقطت كل الحجج والقرائن دفعة واحدة، وبرزت بالتوازي معها ظواهر بررها البعض بما هو أشد فظاظة وقبحا مما فيها، فيما اتجه البعض الآخر إلى تفسيرها بالخادعة وغير الدقيقة في مرتسماتها، وأضاف في معرض التصويب عليها مزيدا الرمي التمهيدي بذريعة أنها تفتقد للكثير من الإتقان في تفاصيلها، حين عانت من ترهلات وعوارض جانبية أقرب إلى المرضية والتي برزت في الاتجاهات النخبوية على نحو مريع وصادم أحيانا، فعادت الثقافة إلى مربعها الأول، وإلى صيغ المحاكاة البدائية للتعرف على مفردات ومصطلحات بدت هجينة وغير مستساغة في ظل أجواء ضاغطة دفعت بالكثيرين إلى الصمت ظنا منهم أنه قد يكون مؤشرا على الحياد الذي توهمه البعض قارب نجاة يصلح للمحاججة في لحظة فاصلة من المشهد اليومي في ظل مفارقات صارخة لم تكن تنفع معها صيغة المهادنة.

أمام هذا السيل من الانجراف بدت أقرب الخيارات هي تلك التي تتعلق بالبحث عن الخلاص الفردي وتناسى الكثيرون أنه في أمة تمتلك هذا الإرث المتراكم من المعرفة التي يصعب أن تبقى صامتة حين الحاجة، ولديها هذا المخزون الهائل من التخمة الحضارية التي تؤمن عوامل الأمان، لا أن تغيب فيها الحلول الفردية وفي أفضل الحالات تكون من دون جدوى أو من غير تأثير فاعل وملموس، فيما كانت على الضفة الأخرى تتشكل قناعات من السيول الجارفة للمفهوم واقتنصت في أفضلها أن تكون مستنسخة من تجارب لا تشبهنا في شيء ولا يمكن القياس عليها بشيء وتوصلت في نهاية المطاف إلى الاستعانة ببعض النماذج من الحلول الفردية لمناقشة ظواهر عامة لا مكان فيها للفردية.

الأخطر وسط هذا التموج والتصادم كان ما أفرزته تعليقات البعض من أن المفهوم على علاته يظل عائما من دون ترجمة تكون الثقافة الشعبية «الجماهيرية بالمفهوم المنبوذ معرفيا » فردية وجماعية جزءا منه ومن الميراث الذهني والمعرفي مع الإضافات الفكرية الناشئة بحكم الضغط الناتج عن ترهلات الواقع المزمن الذي صاغ أجوبة افتراضية على أسئلة واقعية فيما كان يهرب من أي إجابة منطقية بحكم أن المنطق لم يكن بمقدوره الحضور وسط هذا الزوغان في الرؤية والمرتبك إلى حد الإحراج في مقاربات بدت صادمة حتى للعقل الوطني بمفهومه العام وللعقل الشعبي ذاته الذي تفوق في مراحل عديدة وكان سابقا للنخبة في التحليل والتفكير والتصويب والاجتهاد والقبول بالمعطيات وما نتج عنها.

> الانتظار لن يأتي أبدا بنتيجة من دون حوامل فعلية تعيد إلى الحامل الفكري بمورثه الثقافي مقدرته على المبادرة.

عند هذه النقطة كانت التقاطعات الفعلية مجردة من أي دلالة وفاقدة لأي تأثير على الحامل النخبوي المصدوم من ردات فعل تجاوزته، وذهبت بعيدا عن اتجاهاته أو محاكماته وبرزت إلى العلن سطوة الانقياد واللهاث بحثا عن ممر يتيح اللحاق بما جرى من دون أن يعي أن الفارق ليس في الوعي، بقدر ما هو في المحاكاة الواقعية، وثمة سطوة تمت ممارستها بقدر كبير من التعسف على العقل واستسلم في نهاية المطاف لمقولات بحكم ما أصابه من حالة ترف بعيدة كل البعد عن ذل كالواقع.

والفجوة الفعلية ارتسمت بشكل حاد حين كان الاستعصاء في عنق الزجاجة يقتضي المثول لحلول غير تقليدية، مع إضافات تقتضيها الظروف المرحلية أو الآنية، فيما كانت الاتجاهات المحمولة على الاعتبارات النخبوية تراوح مكانها وأحيانا تتعامل من واقع الإقرار بأن الصمت لا بد أن يجد من يسأل عنه وعن أسبابه، من دون أن يلحظ أن الكثير من الأحداث تتجاوزه، ولم يعد من الممكن ولا المتاح أن تظل المراوحة في المكان مجدية، خصوصا أن العواصف والأعاصير لن تترك شيئا في مكانه ولا موقفا في موضعه.

هذا يستدعي عمليا الوقوف على حالة المراجعة لتكون موثقة بخطوات فعلية أو مقترحات أو حلول ومبادرات أولها أن الاعتقاد بأن ما تحقق كانت نتيجة تجذر فقط فهو اعتقاد خاطئ ومسيء حتى للتحليل والاستنتاج، وبالتالي فالمسألة أعقد من النظر من ثقوب تضييق بشكل مستمر وتبدو الحلول غير مقنعة ولا متاحة وسط هذا الجدل المستعصي على مستويات مختلفة، حيث القفز في الفراغ لا يعطي نتيجة وتجاهل الاستعصاء أو تبريره بتقاذف المسؤولية يحتاج إلى وقت إضافي من الجدل العبثي الذي لا مكان له لا في الوقت ولا في الزمن المتبقي، حيث العودة إلى الاشتباك على عتبات المربع الأول أو على تخومه مسألة أعقد من قدرة الحلول النظرية على اجتراع ما يوازيها واقعيا أو عمليا.

الأهم وفق سياق المجابهة أن الفارق بين السكون والصمت يضيق إلى حد التساوي في الحصيلة، ويتشابه مع المكوث في عنق الزجاجة ذاته، وقد يكون الاختلاف الوحيد هو ذاك الانتظار الذي لن يأتي أبدا بنتيجة من دون حوامل فعلية تعيد على الحامل الفكري بمورثه الثقافي مقدرته على المبادرة والانتقال من السكون السلبي أو الإيجابي إلى الحراك على وقع متغيرات سبقنا إليها العالم وكنا نحن المحرك لها أو تمت على خلفية ما نتج في منطقتنا، وغير ذلك يبدو أنه إعجاب مبالغ فيه بلعبة ذر الرماد في العيون، أو الاتكاء على مقولات مضللة راجت في حقبة زمنية لم يعد من روجها يأخذ بها، بل سبق له أن رماها ومن دون أسف حين اقتضت المصالح أن تكون خارج حزمة حساباته..!!

> ثمة سطوة تمت ممارستها بقدر كبير من التعسف على العقل واستسلم في نهاية المطاف لمقولات بحكم ما أصابه من حالة ترف.

قوة الحقيقة

• هنادة الحصري

على الرغم من أن هناك معضلات كثيرة تجتاح العقل العربي، منها قوة الصناعة الإعلامية التي تهدف إلى توجيه العالم وفق ما يرسمه الفكر الأمريكي الأوروبي الصهيوني، لكن الحقيقة لن يستطيع أحد تغيبها .

فقد جاء في صحيفة الغارديان أن وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كونداليزا رايس تراجعت عن إلقاء محاضرة في جامعة زتسرز في ولاية نيوجرسي الأمريكية بعد قيام أساتذة و طلاب بالتظاهر ضد حضورها بسبب موقفها خلال الحرب على العراق إذ كانت جزءا من إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش وقد قالت رايس في رسالة بعثتها إلى مدير الجامعة روبرت بارشي « أنها تعتذر عن المشاركة في حفل التخرج وإلقاء كلمتها يوم 18 أيار ...

هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن هناك حضورا قويا بات يشكله الواقع الشبابي العربي ربما سيساهم في تحقيق غد أفضل.

أما في مدينة القدس (فقد اعتاد سكانها أن يستمعوا إلى صوت الأذان للصلاة فهو يثير مشاعر الروحانية و الإيمان ... على هذا فان الصهاينة يحاولون أن يطمسوا الهوية الإسلامية إذ أعلن بانيل سالتون : (إن ابنته ومنذ كانت في الثانية من عمرها ، تستيقظ فجرا وهي خائفة نظرا للصوت المرتفع للأذان .

أما رئيس بلدية القدس نير بركات فقد أوعز إلى البلدية ببلورة خطة بالتعاون مع الشرطة للتعامل مع قضية ما سماه «الضجيج» الناجم عن مكبرات الصوت في مساجد المدينة في أوقات الأذان بسبب انزعاج السكان اليهود منه ...

هنا يأتي الدور الفلسطيني إذ صرّح الشيخ صبري إلى أن منع الأذان أو التدخل فيه هو مظهر من مظاهر الإفساد في الأرض و يتعارض مع حرية العبادة ، مضيفا أن الذين يدّعون بأن الأذان يؤدي إلى ضوضاء نقول لهم إن الضوضاء هي من الطائرات التي تحلق فوق القدس المحتلة ، و من صوت الدبابات التي تقتحم المدن و القرى و المخيمات، و من أصوات القنابل المتنوعة و المتعددة التي توجه صوب المواطنين العزل و أضاف : « للذين ينزعجون من الأذان حسب زعمهم يمكنهم أن يرحلوا «.

السؤال الذي يطرح نفسه . أليس كل ما تقوم به إسرائيل من اعتداء على الفلسطينيين من قبل المستوطنين و الجنود الإسرائيليين و إطلاق القنابل الغازية و الصوتية و القنابل المسيلة للدموع إلى جانب إطلاق الرصاص المطاطي هو إرهاصات لاندلاع انتفاضة فلسطينية أخرى و هذا دليل آخر على أن إسرائيل لا تتعلم من أخطائها ؟.

أما ما يثير الجدل فان هناك خلافا بين اليهود أنفسهم حول تحديد مكان الهيكل المزعوم و قدسية القدس .

منذ أكد الحاخام السامري عبد المعين صدقة : « لا قدس لدينا في التوراة و لا هيكل في الأسفار الخمسة . «

كما لابد من الإشارة إلى الحقيقة التي تؤكد أنه منذ بدء الحفريات و الأنفاق تحت المسجد الأقصى و جواره التي بدأت عقب احتلال إسرائيل للمدينة لم يتم اكتشاف أي آثار تثبت أحقية اليهود في القدس .

و من الجدير بالذكر فان اليونسكو تبنت مشروع قرار يؤكد أن القدس مكان و تراث إسلامي حيث صوتت عشر دول لصالح القرار مقابل 3 ضده بينما امتنعت 8 دول أخرى في عملية اقتراع سري .

إن ما يثلج الصدر أن كل فئات الشعب الفلسطيني بدأت برفع أذان العشاء من على أسطح المنازل و الكنائس بذلك متحدية ورافضة للقرار الإسرائيلي بمنع الأذان لسان حالهم يقول « أذان بلال لن يسكته الاحتلال « .

الجسد لفظ .. والروح معنى ..

• سهيل الشعار

1 ـ الورد والإبداع

نستطيع بسهولة ويسر قطف وردة، أو قصف سنبلة قمح، وبالسهولة نفسها يمكننا إحضار الورود إلى المنازل وسجنها داخل الجدران وخلف قضبان النوافذ ، لكننا أبدا لا نستطيع حبس عطرها ومنع خيرات أريجها من الانتشار..

عطر الورود، وخيرات سنابل القمح يتخطّى الحدود، يجتاز القضبان الحديدية والأسلاك الشائكة وحقول الشّوك والألغام.

ومتى كانت الأفاعي وذيول العقارب، وأنياب الثعالب وفكوك الحشرات الزاحفة باستطاعتها كتم أنفاس الياسمين واعتقال رائحة التراب بعد المطر، أو منع الغيوم الحبلى بالثلج و المطر من الهطول فوق السهول العطشى، و قمم الجبال العالية ؟!

إن الإبداع وردة ناعمة، مغطاة بالندى ومفعمة بالعطر النادر، وبإمكانها أن تنبت إلى جوار العليق، وقرب جحور الحشرات، وخلف الأسياج وأسوار القلاع و جدران السجون، لكن روحها لا تبقى هناك، ولا تظل مُستكينة خانعة راضية ، ويحزنها أن تحتفظ بعطرها لنسفها، ويؤلها و يُدميها أن لا يستنشق عبيرها كل كائن حي.

هنالك قوة خفيّة، سحرية وغير مرئية، تحمل رائحة الورود والإبداع إلى كل مكان .. قوّة كقوة الماء الناعم حين يثور، والرخام الصلب عندما يتحدّى المطارق و الأزاميل .

الكلمة المبدعة رجفة و نقطة وموجة ..

وباتحادها مع غيرها من الكلمات الصّادقة تقوى، فتصبح الرجفة مع الوقت زلزالاً، والنقطة نهراً، والموجة عاصفة

و تبقى الكلمات أقزاماً و قطعاً من الخشب الهشّ و أغصان و ورق و أعواد عشب يابس إذا لم تحمل بين حروفها معانٍ أكبر منها ، فمثلما قيمة العسل في شفاء الأمراض وتغذية الأبدان، ينبغي على الكلمة أن لا تقل قيمتها عن قيمة العسل في تغذيتها للأرواح العظيمة، والقلوب الكبيرة.

" إن أعظم الكلمات تلك التي يكون عددها محدوداً ، لكنها تتحفك بمعانٍ وإشارات ورموز كثيرة وكبيرة .. "

و ما أقل الذين يجيدون قول ألفاظ قليلة بمعانٍ كثيرة ، وما أكثر الذين لا يتوقّف لسانهم إن كان عن الكلام التافه، أو عن ابتلاع الطعام .

2 ـ الجسد يفنى والكلمة تبقى ..

ما أشبه الكلمات و الأفكار بالعادات و التقاليد .. منها البالي القديم المتهرئ، ومنها الجديد اللامع الساطع ، منها ما نحن بأشدّ الحاجة إليه، ومنها ما نحن بأمسّ الحاجة للتخلّص منها بأسرع وقت.

إن الكلمة أو الفكرة ، حين تكون حاملة لمدلولات عميقة ورموز كبيرة تشبه السّراج المضيء، على مَن يحيطون بهذا السّراج أن يسعوا لرفعه عالياً، فالضوء لا يزداد ضياءً و نوراً وإشعاعاً إذا لم يكن مكانه في الأعلى .

وبقدر ما نرفع من الكلمة المبدعة ، والفكرة المدهشة بقدر ما نزداد اقتراباً من نورها وروحها.

" وأن يقف الإنسان على قدميه ، هذا يعني أنه يشغل بوقوفه هذا حيّزاً صغيراً من الأرض التي يقف فوقها ، أمّا أن يقف مع الكلمة الحرّة، والحرف الصادق، والجملة والعبارة التي تقف مع الإنسان أينما كان فهذا يعني أنه لا يشغل حيزاً صغيراً من الأرض، بل الأرض كلها. "

إن المنابر كثيرة .. و الكراسي أكثر، و مَن يجعل كلماته في خدمة الحق والحقيقة، يرتفع مع كلماته نحو الكواكب و صوب النجوم، و مَن يستخدم كلماته الرخيصة لغايات دنيئة فإن كلماته تستخدمه ، فيصبح لها عبداً لا سيداً، ويبقى مع كلماته تلك جالساً فوق الكراسي و الطاولات ، إذا لم نقل زاحفاً تحتها كأية حشرة بلا أجنحة . وُلدت لتزحف كل حياتها بين الأوراق اليابسة والوحول الآسنة .

د.حسن حميد

الرواية..!

بتُّ على قناعة أكيدة،
أن كتابة الرواية اليوم ما عادت تنتظم في فضاءات محددة قال بها النقاد توصيفاً وتصوراً، أو ما اختطته ذهنيات الروائيين ومخيلاتهم، منذ قرنين من الزمان وأزيد، وذلك لتعدد دروب الاشتقاق، وكثرة الحالات والأحوال والأشكال والصور التي جاءت عليها المدونات الروائية الخالبة، الداهشة، التي كان أحد همومها هدم الأسوار، وتفسيخ المحددات، ورفع الأسيجة أو إزاحتها إيماناً بالمقولة القائلة إن إطار اللوحة لا يقوى على ضبط سيولتها إلى دواخلنا ألواناً، وتشكيلات، ورؤى!

فالرواية اليوم كنص أدبي ما عادت مقيدةً بافتتاحيات أو استهلالات أيّدها النقاد والروائيون من قبل، وما عادت مقيدةً بالحديث عن سلالات جيلية للشخوص، ولا هي مأسورةً بالحديث عن بعد اجتماع، أو شرخ تاريخي، أو الاستظلال بأحداث فجائية فاجعة كالحروب، أو الانشداد إلى عالم الصراع والمكاشفة ما بين الطبقات الاجتماعية الظالمة والمظلومة، والسعيدة وغير السعيدة، والعليا والدنيا، أو مساهرة القيم النبيلة كمساهرة المرضى لكونها راحت تفقد حضورها ومكانتها وعافيتها الاجتماعية، أمام عوم القيم الوضيعة الشائهة واحتلالها لكل مطرح نبيل عزيز، ونفاذها إلى الجواهر ولبابات الأشياء، كما أن الرواية اليوم ما عادت تفضّل موضوعاً على موضوع، ولا تؤاخي شأناً من دون شؤون أخرى، لأن الموضوعات تساوت في أهميتها أمام العين الرائية أو الذهن الذي يصطفي، أو المخيلة التي تروم التحليق والتغريب والإدهاش، لقد أمحت رواية اليوم الثقل النوعي للموضوعات، لا بل تجاهلته تماماً، فما عاد سؤال الموضوع يشغل بال الروائي، ولا بال الناقد والقارئ في آن! وبذلك تجلّت حرية الروائي على وسعها المفتوح في اختياره لأي موضوع، سواء أكان فردياً أو جماعياً، له أبعاد اجتماعية أو من دون الأبعاد الاجتماعية، وسواء أكان حاملاً لأحلام الآخرين وغاياتهم أم أنه بعيدٌ عنها بعد الداني عن القصي، وسواء أكانت الحال الروائية ذات مرجعية مدينية أو ريفية أو صحراوية، فالأمر ما عاد مهمّاً حتى وإن غضب السيد لوكاتش الذي قال إن الرواية هي بنت الحضارة المدينية، وهي صنيعتها، وهي ملحمة التطور الاجتماعي الذي وصف بالبرجزة.

والأفق الفني، أو البعد الفني للرواية اليوم ما عاد جهاتٍ أو طرقاً أو أبواباً عرفها النقاد، أو عرفها الروائيون فمشوا فيها حتى صار اللاحق يقلد السابق في كل تفصيل، وموضع، وغاية، وإنما غدا لكل رواية أفقها الفني، أو أسلوبها الفني الذي حاد عن الآفاق الفنية التي رسمها الآخرون ليس حباً بالمغامرة، ورود الاشتقاق فحسب، وإنما الكراهة لكل مطروق، أو معروفٍ، أو مخترم. لأن الناقد الروائي من جهة، والروائي من جهة أخرى، والقارئ من جهة ثالثة، اشتركوا جميعاً على موضوعه واحدة تقول إن الرواية هي كتاب العصر ومرآتُه، وعليها تتصبّر المسؤولية الكبرى في التأريخ، والوصف، والتصوير، والتسجيل، والتحقيب، لأنها باتت في عداد الوثائق التي تتحدث عن الأمكنة، والأزمنة، والناس، والموضوعات، والقيم، والغايات، والأحلام، وإن الرواية باتت صيغة مفردة، أو أقل جهة مفردة حاملة لكل هذا العبء، ولكل هذا الطموح، وهي اليوم بلا شريك أدبي حقيقي يسهم معها في الحديث عن الموضوعات المؤرقة التي صارت سؤالاً راعباً للأفراد والمجتمعات معاً، وسؤالاً فيه الكثير من القلق والهجس عن الأمكنة التي شهدت تحولات غرائبية مدهشة في صيغها الجمالية، وفي بناها الأساسية من جهة، وتحولاتٍ عنوانها الرئيس المغايرة والتغاير بفعل ما قامت به يد البلى والخراب من جهة ثانية، وسؤالاً موجعاً عن الأزمنة التي ما عادت تمشي في المسالك الخطية قدر مشيها في المسالك اللولبية، وسؤالاً مأزوماً عن الذات البشرية التي ما عادت تروم غايةً واحدةً أو حلماً واحداً وكفى، وسؤالاً حائراً تجاه المرجعية التي ما عادت تكتفي ببعدها الفكري أو الفلسفي الواحد، وسؤالاً محتشداً بالعطش عن القيم التي كان توصيفها بالنبل والجاه والمكانة، وقد غدت اليوم بلا جاه أو نبل أو مكانة.. لأن مواضعات الوغدنة، والفهلوية، والاحتيال، والمناورة، والمراوغة، والنفاق، والكذب كسبت الرهان حين شالت بأهلها وطلابها وممارسيها فجعلتهم يتقدمون الصفوف، حتى صارت صورهم هي الصور المؤطرة والمثال.

كل هذا الذي ذكرته آنفاً، شكل عصفاً أدبياً غير مسبوق في عالم الرواية، فجعلها بلا استقرارية أو تقاليد في الموضوعات المختارة أو المصطفاة، وبلا أساليب مبوبة رضي عنها النقد الأدبي أو حبذها، وبلا مراكمة أدبية تؤيد الأولويات التي تحف بها الأسئلة الاجتماعية الثقال طلباً للخلاص من تبعات الحياة ومتطلباتها!

والحق أن الناس ذهبوا إلى الرواية أو انجذبوا إليها من دون أن يحيّدوا الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر، والقصة، والمسرحية، والمقالة، لأن في الرواية مفاجآت ما، وهي مفاجآت منتظرة! مفاجآت يسعى إليها الناقد، والقارئ، والروائي نفسه، ولولا التخمين أو الحدس بأن الروايات هي أعشاش المفاجآت لما خلبت الروايات طلّابها سواء أكانوا نقاداً، أم قراءً، أم أهل أدب وإبداع! وللتمثيل أقول، ما الذي تعنيه رواية موضوعها الحرب، لناقد، أو قارئ، أو أديب عاش الحرب واكتوى بنيرانها، واشتعل طويلاً برغبة الخلاص منها.. سوى بحثه عن ذلك الهجس الموصوف بالمفاجأة! والمفاجأة الروائية عادة قائمة على تجديد الرؤيا، وتجديد شواغل الذهن، واللحاق بشواغل الخيال! صحيح أننا نستطيع توصيف المفاجأة، والاقتراب من تحديد مادتها، لكن الصحيح أيضاً هو أن قدراتنا تعجز، في كثير من الأحيان، عن تحبير المفاجأة، وصياغتها لتصير حقيقة ذاهلة لنا!

والحق، أن جميع الأجناس الأدبية تسعى إلى إعلاء شأن المفاجأة طيّ نصوصها، من خلال البحث عن المفارق، والعصي، والمستبطن، والعادي، والخالب، والدافئ، والبكر، والنداه بعد مدّه بالدروب، والأيدي، والنوافذ، والبهجة، والسحر الحلال! ولكنها جميعاً، أعني الأجناس الأدبية، لا تبدو في مرآة الحذق التي تبدو فيها الرواية اليوم، فالمفاجأة في النصوص الشعرية، والقصصية، والمسرحية، والمقالة هي دهشة لا شك في وجودها وحضورها وغناها، لكنها مفاجأة برقية، سريعة، وامضة أو تكاد، تأثيرها قليل، ومساحات التأمل فيها ضيقة، وهي غير قادرة على إرضاء النفس التي عطبتها الأسئلة العصية، وغير قادرة حقاً على مماشاة ما عمل عليه الخيال طويلاً من أحلام لم تصبح واقعاً معيشاً! وهذا التوصيف ليس ذماً للأجناس الأدبية الأخرى، من دون الرواية، وإنما هو توصيف لأدوارها، وهذا سبب تراجعها، وبعد المسافة ما بينها وبين الرواية من ناحية السؤال والطلب عليها، ومن حيث التوقع للتأثير في البنية الاجتماعية، وهذا الأمر لا يخص مجتمعاً بعينيه سواء أكان متقدماً أو متخلفاً، أو بلاداً سواء أكانت صغيرةً أو كبيرة، أو مكاناً سواء أكان في ضفة المتوسط الشرقية أم في ضفته الغربية! وكذلك من حيث تأثير الرواية في البنية النفسية للأفراد، فإن كان التأثير كبيراً وجوهرياً فإن الأفراد يتحولون إلى سعاة بريد للترويج للرواية التي أثارتهم أو حذرتهم، أو نبهتهم. وهذا لعمري هو من أهم الأدوار التي تلعبها الرواية اليوم، وفي طالعها أن تجعل الاثنين، الفرد أولاً، والمجتمع ثانياً، قادرين على التأمل في وسط عالم منهوبة أزمنته، كثيرة شواغله، عالم موار ولولبي.. وقادر على الخداع والتخفي.

وددت قول هذا السطر الطويل، بعد أن انتهيت من قراءة روايات كثيرة، نافت على أربعين رواية دارت موضوعاتها جميعاً حول الحرب المفروضة على سورية خلال السنوات الست الماضيات، وقد تعددت أسماء كتّابها بتعددها، وظل الموضوع واحداً هو الحرب، وتعددت أساليب كتابتها بتعددها، وظل الموضوع واحداً هو الحرب، وتعددت غاياتُها وأحلامُ شخوصها، وظل الموضوع واحداً هو الحرب، وتكررت أمكنتُها تحديداً ووصفاً وجهاتٍ، مثلما تكررت حالات الموت، والخطف، والحصار، والأذى، والظلم، والوحشية في جنباتها، وطي سطورها أيضاً. وتعالت ثنائية الداخل والخارج، والوطني والخائن، والنبيل والخسيس، والتام والناقص، والثابت والمدولب، والراسخ والرجراج، والصلب والسائل، والحي والمطفأ، والأصيل والدخيل، والجوهري والهامشي.. وظل الموضوع واحداً هو الحرب، وتكررت أزمنتها الكامنة ما بين البدايات والنهايات والخواتيم، واللحظة، واليوم، والفترة، والبرهة، والصباح، والمساء.. وما بين الأسئلة والأجوبة، وما بين الواقع والتمني، وما بين الأليم والمؤلم، والمُنار والمعتم.. وظل الموضوع واحداً هو الحرب.

إذاً، والحال هذه، والموضوع هو هذا، ما الذي يريده الناقد الأدبي العارف بالسرد، والقارئ الذي يريد أن يرى صورته، وحاله الاجتماعية، وعصفه الذهني، وشوارد خياله، ومخاوفه وأحلامه في المرآة الروائية، بل ما الذي يريده الروائي الذي امتهن السرد وعاشه تحليقاً كالطيور، وكتبه بالأسطر الروادف، وساهر موضوعاته وأساليبه.. حين يقرأ هذه الروايات؟! الحق، ليس من جواب لهذا السؤال الثقيل سوى أن الجميع يبحثون عن المفاجأة الروائية داخل كل رواية على حدة، ونجاح والرواية وعلوها قيمةً في نظر قرائها، مشدودان إلى هذه المفاجأة وما تحمله من أسرار داهشة!

ومن هذه المفاجآت.. هذا الخبر العادي جداً، الكثير الحدوث في زمن الحرب، والمتمثل بفقد الأم لابنها، فلذةِ الكبد، وحلم الحياة، والمرآةِ، وعمودِ البيت، وزينةِ الشباب، وقيمةِ الاجتماع، وسعادةِ الروح؛ تلك الأم، وحين يصلها خبر استشهاد ابنها، تشعر بأنها فقدت الدنيا وما فيها، والحياة وزهوتها، وأن مصابها هو أكبر مصاب بين الناس، وأن حدث الاستشهاد والفقد لهما أكبر الأحداث قاطبة، لكنها حين تمضي عاثرة متعثرة وراء جنازة ابنها إلى المقبرة، وهناك.. ترى وتسمع وتعي وتدرك بأن أماً إلى جوارها تبكي مثلما تبكي، وتنوح مثلما تنوح، لكنها تختلف عنها بأنها فقدت خمسة من أولادها، وأن هذه المرأة أم الشهداء الخمسة تواسيها وتصبّرها وتشدّ على يدها، وتقوّي قلبها، وهي تلهج بكلمة واحدة هي: البلاد... عندئذٍ، كيف ستصير حال المرأة أم الشهيد الواحد، أمام المرأة أم الشهداء الخمسة! هذه مفاجأة تبديها الرواية، من أجل بيان التعالق ما بين الفردي والجماعي، والهم الهم، والخبر وترسيماته، والخبر ومعانيه في زمن هو زمن الحرب! ومن أجل بيان ترسيمات الجروح الداميات التي تشقّها الحرب فواجع للوحشية بكل ما تمتلكه من شراسة وبطش، والتي ستصير دوائر وفضاءات تلفّ الأفراد والمجتمع في آن!

Hasanhamid55@yahoo.com

نزيف القوافي

•عفاف يحيى الشب

عندما يصمت الصمت الكئيب ويفنى السجع وترحل الكناية إلى مالا نهاية.

عندما تتشظى الحروف وتسافر الكلمة إلى هاوية النفاق لابد أن الأدب في خطر وأن فنونه هرمت وانزاحت عن دروب البشر.

عندما تتلفت الأرواح هائمة عن قصيدة تهب من مهاجع الخمول ولو في الهزيع الأخير من حكايا الأدب لتعلن أن الوباء الفكري يفتك بأجساد الإنسانية المحكومة قسرا بسياسة الأقوى وأن الشعر لا بد أن يعود في طفرة نادرة إلى عرش الغايات النبيلة المطهرة بماء الوجدان ليقول ما يلهب نيران الحماس في السطور الباردة التي انخفضت حرارتها حتى باتت ظلالا للواهي من محاولات يائسة تئن ضعفا في حرب أبادت طفولة أرواحنا التي منذ أزمان وأزمان ما شاخت بسرعة هذا الزمن المشهود في تاريخ موعود أظلموا صباحات امتداداته منذ بدايات القرن العشرين ليكملوا فاجعة فلسطين وليلحقوا بها العراق ولبنان وسورية واليمن السعيد وليصدعوا البنيان العربي الذي تتهرب من الانتماء له بعض دول شقيقة تذكرنا بصندوق العجائب الذي يحكي عن الغرائب اعتقادا منهم أن الغرب لهم بعاشق وخير خليل وأكبر متيم مفتون وما هم بالنسبة له إلا مجرد مصرف مالي ومغارة علي بابا المختزنة للذهب والفضة واللآلئ لكنهم لا يعلمون أن خصوبتهم المادية المغرية قد انتهت وان مصارفهم ربما نضبت وأوشكت على الانهيار وان الرابح في النهاية من يفكر في شوط البداية.

ما أكتبه طبعا ليس بجديد ولا قافية من ذهب العظات ولا مباضع ماهرة في تضميد الجراحات لتستكين قلوبنا وتغفو هادئة عروقنا وتصفو شرايينا من الأبهر إلى كل وريد وتنتزع من رؤوسنا حكايانا الخرافية فننطلق بأقلامنا لنبعد بقوة المداد أشباح الجهل المديد الذي زرع أفكارنا بطحالب التضليل وقد أوهمتنا ذات تاريخ أننا أمة واحدة وأن الكثرة تغلب الشجاعة.

ولكن ما حصل هو الصمت الرهيب الذي جعلنا نسكت كشعوب عن تلبية نداء الحروف خاصة والصوت مجروح من العويل على شباب عربي يقتل وينزح وأمة كبيرة تفنى وتبدد

وأعود للقول والحديث اليوم عنك أيها الشعر إن كل ما أذكره واضحا وضاءا كالقمر العملاق ولكن السؤال عن شأن البلاد وحالة الخزي التي نعيشها في خندق الحرمان دون أشعار تؤجج الروح العائمة فوق مواقد الغليان تنتظر من يوقد شعلتها ليحدث ما ليس بالحسبان ويهب أهل الكهوف من رقادهم الطويل وتدب الحياة في الأوصال..

يقولون إننا عرب ..وإن لنا مجدا شعريا قديما حركنا به قلوب العذارى وفجرنا منابع الرجولة في الصحارى ورفعنا الحكمة على سواري الوجدان ووقفنا على الإطلال وأطلقنا الخوف من عقال التبلد والهذيان وكان لنا ما كان حتى ولدت أشعار المقاومة العربية ولادة دامية وأخطار الموت تهددها لكنها ولدت وعاشت ردحا من الزمن تقفز فوق تعدياتهم لتشطف عن بعض الوجوه غبار العار ولتدفع بنار الأعداء إلى نحورهم الماكرة الجرداء من حق الإنسان العربي أين كان في حياة كريمة عادله بأحضان وطن منعم بالأمان ولسلام

اليوم أسمع صهيل الشعر المهاجر وأنين الفراق يذبح القوافي وسباق الكلمات يخسر في رهان الاستمرار في زمن نحتاج أن ننصر داخلنا ونشجع دوافعنا وننهض بأشعارنا إلى ما بعد المتاريس والمدافع وادعاءات واهية جاءتنا من بلدان نائية لتحتل مقاعد شموخنا وتنهي أصولنا وتنزع ثوابتنا من صدورنا حتى سقطت مدائن أشعارنا التي كانت تهب وسط الظلام لتنثر نجوما من كلام يدغدغ أرواحنا ويوقظ دوافعنا إلى استعادة ما سرقوه في نوبة إغماء عميقة من حقوقنا في كل شيء حتى أفنوا حياتنا وأسكتوا صرير أقلامنا فأصبحنا نقول في الهواء كلاما لا يمت إلى لغتنا بصلة ولا يبعث دفئا في أوصالنا بل ولا ينير فكرا في رؤوسنا وتنزلق مطالبنا الى وديان لانهاية لقعرها المعتم السحيق

ليبقى السؤال أين القصيدة اليوم وأين فارس الشعر الذي لا يقدم لنا معلقة لا قوافي فيها ولا أوزانا بل أين إبراهيم طوقان وسميح القاسم ونزار قباني وفخري البارودي أين أمثال هؤلاء اليوم أيها الشعر الغائب في أيام الحصار والنزوات فيها كالأمطار وأصحاب الاشتهاءات يتدفقون على منطقتنا مثل زوابع الغبار الحمراء فتفقدنا التبصر وتعمي الأنظار

أيها الشعر العربي أنا مستاءة من استهتارك بالمعاني والعبر وحروفك النازفة تنحر الحجر وأنت بعيد بعيد عن احتراقات البشر.

في كل الأزمات العالمية تنهض الفنون والآداب وتجند نفسها للدفاع عن الحقوق إلا في بلادنا فقد تكسرت الأقلام وانفرط عقد الكلمات وأصبح النت والفيس بوك جدار الخربشات الصبيانية نقرأ عليه عبارات حديثة قد تقول لا نريد الحرب أو ترحب باستضافتها وربما نقرأ إعلانا عن محل تصليح للأدوات الكهربائية أو عن فنانة تملك جمالا أبدع صناع فسيفساء التجميل في نفخ الشفاه والوجنات في وجهها الجديد مع إطالة الشعر بالوصلات دون أن نعرف ماذا قدمت من أعمال لها مقولة وكلام كي تدفع بطيور الظلام إلى هجرة لا عودة معها

هل أنت تسمعني أيها الشعر ؟؟ هل عندك شك بأن بثينة وليلى لا قدرة لهما اليوم على إغراء عاشقيهما لو عاشتا من جديد ولخسفت معلقات الغزل العذري وضاعت القوافي في البوادي كالقطيع الشريد

أيها الشعر أحبك وأهواك ولكن لا أراك حاضرا رغم ما نعيشه مؤخرا من محاولات زائفة لصناعة قصيدة لا تنتمي إلى القصيدة ولا تحمل مضمونا ولا تدفع قارئا إلى متابعة قراءتها إلا فيما ندر مع أن عدد الشعراء الجدد قد تضاعف كثيرا حتى شمل معظم أطياف المجتمع فهل أنت راض عن هذا الغياب والانحدار؟

اختنق الإبداع يا شعرنا المتوهج والوهاج وترعرع التسويف الأدبي لينبلج أدب الحروب عن كومة حروف يطلق عليها الشعر الحديث والأمر لا يتوقف عندك فقط لأن سطرا حزينا وخجولا أصبح قصة قصيرة وأن أعمالا فنية كاتبها لا يحمل الابتدائية يدعي الإبداع وأنه طفرة بشرية هدرجت وهجنت حتى أصابت أكبادنا بالحميات وقهرت نظريات الواعين وجمعتها في أكياس سوداء وأرسلتها إلى مصانع التدوير لتصبح عبارة عن قصص بلاستيكية

غير صالحة للاستخدام الطويل..

حزني على ما تتعرض له فنوننا وإبداعاتنا يعادل حزني على ما نخسره من أوطاننا ومن شبابنا وما أمة تخلت عن انجازاتها ذات الخصوصية والجودة العالية لإنعاش تراثها وتحديثه بما يخدم مصالحها ويرفع من سقف تطورها وكيف لا وقد أعلنت بنفسها نهايتها ونسفت عوامل ارتقائها بدءا من الحرف والكلمة وقصيدة الشعر الثمينة وصولا إلى المدارس المهشمة والمناهج الواهية وطرائق التدريس البناءة مشلولة في المراحل التعليمية من الابتدائية وحتى العالية وفي قاعات الامتحانات التي سقطت حرمتها وأنت أيها الشعر تراقب كل تلك الانزلاقات لكنك لا تفعل شيئا وتبقى مقعدا وكسيحا في زوايا النسيان وقد توقف نبض الحروف وجفت منابع البحور الشعرية لتتهاوى أمة عربية كاملة وقد غابت اجتهاداتها عن الحضور في عصور التحديات العلمية والأدبية وذابت مخططاتها الدفاعية الموشومة على أذرع أبنائها بحيث لا تسمح لهم بنسيان مالها عليهم من فضل فإذ بهم يقصون فورا شرايين الولاء وهم يهاجرون الأوطان إلى غير بلاد في أقسى ساعات الهوان

أيها الشعر المتخاذل المهزوم ألا تتفق معي أن الصحوة الفكرية أساس عودتنا إلى امتلاك ترابنا وهوائنا وسمائنا وأقمارنا وكل ما هو حق لنا وقد خلفه لنا أجدادنا الذين رغم الظروف والحروب رغم المعاناة والألم لم يسقطوا في دوامات الندم كما يحصل مع أجيال تخلت عن القلم وراحت إلى تبني تقنية النت وثقافاته التي صارت عبارة عن سب وشتم وقدح بكلمات حروفها عبارة عن همزة عوضا عن القاف مع هزالة في الألفاظ .

الشرفاء من أبناء البلاد يبكون وتنزف دموعهم من كل خلايا أجسادهم التي تلاشت لما أصاب منطقتنا العربية من كبير المصائب وما أحاق بها من جسيم النوائب

والصحوة الفكرية هي التي تنقذنا مما نحن فيه وقد خسرنا الشعر وتخلينا عن انجاز أدب جديد لمجابهة الحروب وتركنا لمن لا يدرك أن يصبح معلمنا وشاعرنا وأديبنا ومؤرخ تاريخنا وفقيه عمراننا وأديانا وكل ما يمكننا من الانتصار على ذاتنا وعلى من اخترق ثقافاتنا وصنع من ذاك شاعرا وفيا ومن جاهل آخر أديبا عبقريا وثالث متعثرة حروفه أصبح صحفيا شهيرا وذاك المخمور بالإعجاب بالغرب الامبريالي ربما صار مذيعا وهو لم يحاول قراءة أسباب نجاحات الغرب وعوامل تطورهم وما الذي دعاهم إلى اعتماد نظرية تصنيف الشعوب ووضعنا في خانة العالم الثالث المهزوز الضعيف.

لست أقدم مرثية من أوهام ولا أتكلم عن داء الانفصام الذي شل نوازعنا إلى النهوض وعطل رغباتنا في العودة إلى اللقاء ليذبح بشذوذ مساعيه كل أدبياتنا ورموزنا ونحن عن ذلك غافلون أو هاربون لا يهم طالما نحن في مواقع الخمول صامدون .

فيا فرسان الشعر أين انتم ..أين قوافيكم التي تتسابق إلى ميادين الاعتداءات فتحيلها براكين دفاع تزلزل الجبال وتتغلغل في أعماقنا للتصدي لعواصف البهتان والتضليل ولنهب من جديد وننهض نهضة رجل واحد في مجابهة كل مستغل عنيد ما ارتوت عيناه من جريان دم الشباب والأطفال في كل شبر وخلف كل جدار بل كأبطال أفلامهم ذات الخيال الاجرامي يريدون المزيد والمزيد والشعر الوجداني والحماسي يغط في سبات عميق مديد.

أكذوبة الحق التاريخي لليهود في فلسطين

•د. غازي حسين

تطبيقاً لتقرير كامبل الاستعماري عام 1907 واتفاقية سايكس- بيكو عام 1916 صدر وعد بلفور الاستعماري في الثاني.. تشرين الثاني عام 1917 لتحقيق المصالح الاستعمارية والصهيونية في فلسطين قلب الوطن العربي. واتفقت بريطانيا والمنظمة الصهيونية العالمية لقاء وعد بلفور أن تعمل الصهيونية على مساعدة بريطانيا لفرض الانتداب البريطاني على فلسطين، لأن فرنسا وروسيا القيصرية كانتا تطمعان في السيطرة عليها. فاستعان دهاقنة الاستعمار البريطاني بالحركة الصهيونية لتحقيق مصالح الإمبراطورية البريطانية والصهيونية لتحقيق مصالح الإمبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية بغرس إسرائيل في فلسطين العربية.

أرسلت بريطانيا صيغة الوعد المشؤوم إلى الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا للاطلاع والموافقة عليه ووافقت الدول الاستعمارية الثلاث على صيغة الوعد المشؤوم. وأيدت فتح أبواب فلسطين على مصراعيها لهجرة اليهود الاشكناز من أوروبا لحل مسألة اليهودية فيها على حساب عروبة فلسطين وحقوق الشعب العربي الفلسطيني الوطنية غير القابلة للتصرف.

وكانت فلسطين قبل أن تسمى بفلسطين تعرف بأرض كنعان نسبة للقبائل الكنعانية العربية التي كانت أول من سكنها، ففلسطين أرض عربية منذ بدء التاريخ وتعاقبت عليها أمم شتى إلى أن جاء العرب مرة أخرى إبان الخليفة عمر بن الخطاب وحرروها من الغزاة الرومان. وأصبحت مقاطعة عربية احتلها الجنرال البريطاني اللنبي في كانون أول عام 1917 في نهاية الحرب العالمية الأولى. طالب الاستعمار والصهيونية تأسيس دولة لليهود في فلسطين انطلاقا من سلسة من الأكاذيب منها:

-1 الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين.

-2 اعتبار اليهودية قومية وربطها بالقدس وفلسطين لاستعمارها.

-3 التخلص من الاضطهاد الذي عاناه اليهود في أوروبا وحل المسألة اليهودية على حساب الشعب الفلسطيني.

زعمت الصهيونية والمسيحية الصهيونية أن فلسطين هي أرضِ الميعاد واستندت زعمها على التعاليم التي رسخها كتبة التوراة والتلمود ودهاقنة الاستعمار الأوروبي والمؤسسون الصهاينة.

إن الزعم الصهيوني بأن فلسطين هي أرض الميعاد هو زعم وادعاء لهِ طابع ديني، والدين بلا منازع ليس مصدرا من مصادر القانون الدولي، لذلك لا يجوز للدول الاستعمارية والصهيونية العالمية أن تستند إليه في المطالبة بتأسيس إسرائيل بفلسطين طبقا لقانون الدولي.لقد خرج أهم علماء الآثار في الكيان الصهيوني ومنهم إسرائيل فنكلشتاين وغولدبرغ وغيرهم برأي هز «إسرائيل» عندما قاموا بتطبيق الأسماء الواردة في التوراة على الأماكن في فلسطين ومنها موقع مجدوا الكنعاني وأعلنوا أن لا صحة على الإطلاق لما ورد في التوراة حول الأسماء والمواقع وأنه لا أثر لليهود فيها على الإطلاق بما فيها حائط المبكى وحي المقاربة (ساحة المبكى حاليا) وباب المقارنة.

وجاء قرار اليونسكو في تشرين أول 2016 وأكد أن المسجد الأقصى وحائط المبكى المزعوم ملك إسلامي وكذلك مدينة القدس القديمة، مما أصاب نتنياهو وقادة العدو بالجنون والهستيريا، وأظهر أن إسرائيل أدهى من بيت العنكبوت. وتقوم على سلسة من الأكاذيب لتبرير الاستعمار الاستيطاني اليهودي. ويؤكد البروفسور الألماني فاجنر مؤلف كتاب «النزاع العربي الإسرائيلي في القانون الدولي»أن جميع الأسباب التي يوردها الصهاينة لا تشكل حقا من الحقوق إذا انطلقنا من القانون الدولي الذي كان سائدا في الماضي أو في الحاضر.

إن الوعود الألهية والنفي واستمرار روابط صلاة اليهود في فلسطين، هذا كله لا يمكن له أن يشكّل حقاً من الحقوق»

أن الحق التاريخي المزعوم لليهود هو الزعم أو الأكذوبة الأساسية للصهيونية للمطالبة بفلسطين العربية.

ويعني الحق التاريخي في القانون الدولي « الحق الذي اكتسب نتيجة تقادم الزمن لى ممارسته واستعماله. فاستعمال الحق والاستمرار في استعماله فترة طويلة من الزمن يجعل من ذلك حقا تاريخيا، أي يفترض فيه استماله بشكل مستمرة فترة طويلة من الزمن وبدون انقطاع.

فهل مارس اليهود السيادة على فلسطين واستمروا بممارستها إلى أن تأسست الحركة الصهيونية عام 1897؟

الجواب للقانوني والتاريخي القاطع هو بالنفي. فمجيء القبائل اليهودية إلى جزء من فلسطين لو انطلقنا من الأكاذيب التي دونها كتبة التوراة والتلمود ونفاها الأثريون الإسرائيليون لم يكن سوى موجة من موجات الهجرة القصيرة جدا التي تعاقبت على فلسطين. كما أثبت رجال الآثار عدم وجود أي أثر لمملكة اليهود التي لم تعمر غلا فترة محدودة جدا بحسب زعمهم. وثبت بجلاء حتى اليوم أن لا أثر لوجود اليهود في فلسطين على الإطلاق. وكانت فلسطين قبل وصول العبرانيين إليها على حد زعم كتبة التوراة كنعانية أي عربية، واعتنق سكانها المسيحية إبان الإمبراطوريتين البيزنطية والرومانية ولم يغيّر ذلك من طابعها العربي.

واحتفظت فلسطين بطابعها العربي بعد الانتصارات التي حققها رجال الصحابة في القرن السابع الميلادي.

أن اليهود لم يكونوا أول من سكن في فلسطين لو سلمنا بمزاعمهم، وإنما هم دخلاء عليها، جاؤا إليها من كلديا ولم يستولوا عليها بأسرها وانتهى وجودهم فيها منذ أن احتلها الرومان وغادروها ولم يبق فيها يهودي على الإطلاق.

يقول د. محمد طلعت الفنيمي المختص في القانون الدولي عن الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين ما يلي:

« أن أجداد اليهود لم يكونوا من أصل فلسطيني، بل هم كلداتيون، ولم يكونوا أول من سكن فلسطين بل وفدوا على البلاد وفيها أهلها الأصليون الكنعانيون العرب، وظلوا فيا قلة بالنسبة لمجموع السكان.

وكتب العديد من المؤرخين اليهود أن مملكة يهودا فقدت كيانها السياسي منذ القرن الأول الميلادي، عندما احتل الرومان سورية بما فيها فلسطين وتفرق اليهود خارجها. وتفرقوا في كل مكان واستوطنوا على الرغم من قلة عددهم في المدن التجارية المزدهرة طلبا للربا والربح الوفير. وذاد عددهم بعد اعتناق ملك الخزر وشعبه اليهودية للوقوف أمام غزوات الإمبراطورية العثمانية. وعرفوا بالإشكناز الذين أسسوا «إسرائيل» تطبيقا لوعد بلفور المشؤوم وقرار التقسيم.

أن هذه الحقائق التاريخية تسقط الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين، حيث بلغ عددهم عندما أصدرت بريطانيا الوعد أقل من 150 ألف بينما بلغ عدد الفلسطينيين (650) ألف نسخة. وبالتالي تقضي على أية علاقة يزعمها الصهاينة حول الحق التاريخي المزعوم لليهود، لأن اليهود تتنازلوا عن سيادتهم على فلسطين وتركوها في غمرة البحث عن الربا والكسب وغير المشروع.

إن مرور مئات السنين لا يمكن أن تضفي الشرعية على وجود كيان غير مشروع استند في إقامته على المزاعم والخرافات والأطماع والأكاذيب التوراتية والتلمودية ودعم الدول الاستعمارية والإمارات والممالك العربية التي أقامتها. فالعنصر الجوهري في الحق التاريخي هو سمته التاريخية أي ممارسته لفترة طويلة وهادئة ومستمرة.

وانقطعت صلة اليهود بفلسطين منذ أن شتتهم الرومان. وبالتالي سقط زعمهم بالحق التاريخي لهم في فلسطين إغلاقا من القانون الدولي القديم والحديث.

قراءة في مجموعتين شعريتين للشاعر صالح هواري

«طويت عليك جناحي» و «لا تكسري الناي»

•فضيل حلمي عبد الله

نحن أمام خطاب إبداعي لشاعر حداثي يجعلنا حريصين كل الحرص على كشْف رموزه عبر بعض الشيفرات التي يخلفها لنا في مجموعتيه الشعريتين الأخيرتين، إذ أن لكل مجموعة خصوصية تستدعي التقاليد النقدية الموازية لها. فلا توجد قواعد ثابتة تعين الناقد في تحليله يستطيع أن يطبقها على كل مجموعة أو نص شعري.

من منا لا يعرف الشاعر الفلسطيني صالح هواري.

فإننا نعرف تجربته الشعرية جيداً.

فهذا الشاعر أعطى للشعر الكثير من الإبداع.

لم يكن من السهل عليه أن يعرف حدثا من أحداث أهلنا في فلسطين أو في الوطن العربي من دون أن يترجم هذا الحدث شعراً، وإن لم ينل من الشهرة القدر الذي يستحقه ففي مجموعتيه الأخيرتين لا تكسري الناي الصادر عن الاتحاد العام للكتاب العرب عام 2006 وطويت عليك جناحي من منشورات وزارة الثقافة في دمشق عام 2007، كشف عن حرفية الإبداع ورؤية الشعر الحساسة. ولم تكن دواوينه الشعرية مجرد حروف أو كلمات موضوعة على الورق، بل هي خصوصيات وهموم الوطن والمواطنة، هكذا دبلج صالح هواري مجموعتيه الأخيرتين «لا تكسري الناي، وطويت عليك جناحي»، بخصائل شعرية تثير العقل والوجدان الممزوجين بروحه الثائرة والساخطة على كل شيء من حوله، حتى نفسه، صالح هواري لم يعرف الغلط اللغوي، لأنه أستاذ في اللغة العربية والذي عمل لفترة خمسة عشر عاماً أستاذ للغة العربية وتدريسها لأبناء الشعبين الفلسطيني والسوري الشقيق، كما أنه يعمل حالياً مدققا لغوياً في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون العربي السوري قسم الأخبار، وكان الشعر دائماً رفيق عمره، فالشاعر الذي كان يوماً ما معلماً للغة العربية يعرف أسرار لغته وخفاياها؛ والطريق الأيسر إليها؛ ناهيك عن أنه مقرر جمعية الشعر في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين فرع سورية.

إن تجربة صالح هواري الشعرية تؤكد بأن الشعر ما زال لسان المثقفين الذي لا يحيد عن الحقيقة ولا عن الحق وهو يقاتل ومناضل أي أنه مقاوم من الدرجة الأولى وإن مات فهو شهيد الكلمة وشهيد الوطن والأمة، فيبدأ الشاعر قصيدته «شهيداً وشهيداً» والمهداة إلى زميله ورفيق دربه أيام الدراسة في جامعة دمشق الأديب ممدوح عدوان.

أحنى على جثمانه الصفصاف واحتفلت به مصياف
لم تبك الشام
بكت فأورق في مآقيها الغمام
هو ذا كعادته يغازل نجمة الرؤيا.. ويغزلها
يشمّس في السماء خياله ويونس بين يديه قنديل النعاس...
لا ينام صاح المنادي وهو بنثر ورده وبخوره؛

ممدوح غاب ولن يعود وتلك سكرة موته تحت الرغام ممدوح لم تعجبه ثرثرة المنادي

احتك بالقبر.. وقام كتبت أنامله على لوح اليقين
أنا الذي سهر الزمان على شموع أصابعي
لم تكتحل عصفورة السنة الجديدة باكتمال روائعي
آذيتني يا موت كيف قطعت نسل منابعي

ويتابع صالح هواري قصيدته؛

أنا واحد من جيله في الجامعة كان المشاكس والمجلي في الأماسي الرائعة

هذه المشاعر المزروعة في قلب الشاعر إلى صديقه ورفيق دربه في مهنة الأدب.

إن الشاعر يتحدث عن مرحلة جيله ويصف لنا عن مواقف عاشها مع فارس من فرسان الأدب أو ما شابه ذلك..

ويحاول الشاعر أن يتحدث عن الهم المشترك وأهمية المثقف في المجتمع وخاصة مجتمعنا العربي بطريقة الرمز تلك الطريقة التي ظهرت في النص «القصيدة» ومن الجانب الأدبي إن صح التعبير- إن شاعرنا الكبير وجد طريقة هي الأفضل للتعبير عن موقف الأدب المقاوم الذي يروم الحدث ويحول الموضوع إلى رموز قد يوحي بأشياء تعجز الكلمات الكثيرة عن إدراكها، هو وحده وأعني الرمز- القادر على خلق أو تكوين ما يقاس من المعاني، وتبقى الصورة في ذهن القارئ ليست تحليلاً للواقع بل تكشف جزئيات من الواقع ولكنه لا يبقيها على واقعيتها، بل يقوم بتحطيم علاقاتها الطبيعية حتى تغدو فكرة مجردة إذن، فقد بدأ الشاعر قصيدته بالكلام عن أشياء لا تنتمي إلى زمان دون زمان عن حقائق فيها الزمن المطلق يصلح أن يكون في الماضي والحاضر والمستقبل إلا أنها وفي الوقت نفسه تنتمي

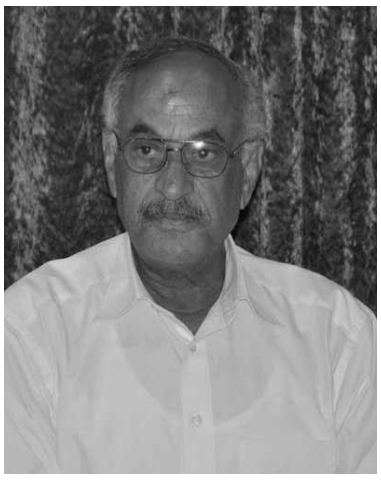

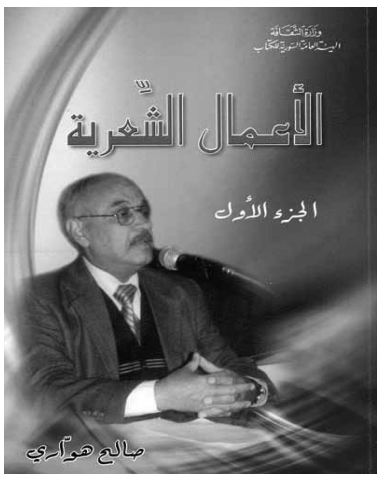

إلى مكان في ذهن الشاعر والقارئ معاً حدوده الوطن العربي.

ثم ينتقل الشاعر للحديث عن الزمن الحاضر أو عن الواقع العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص؛

فعمّ إذن تسألون..
دمشق التي تجيء بعد جاءت معطرة بالبياض الذي لا يهادن
هل جاءكم نبأ عن عصافيرها
كيف تلقي السلام على العاشقين وهل جاءكم كيف ترمي الجمار على الغاصبين؟؟؟..
لها الله.. ما أكثر الشوك في دربها
أيها السنديان الذي يفهم البحر من لهجة الريح خذ بيديها..
ويا بردى.. قم إلى السلم واصدع
بما أمرتك دمشق وكن مثلما تشتهي أنت.. لا مثلما يشتهون
إنه الليل مشتبه بقناديله لا تعذب خيالك يا بردى في اصطياد الخيال
زمان يصب الرماد بعين الشعاع يطرد سرب العصافير عن عشه
واثق أنت يا بردى من حمام يشيل الرصاص على ريشه؟؟؟
لأنك أنت الجميل ترى كل شيء جميلاً جميل لأنك أصفى من الحزن في دمعة الله
خانتك كل مراياهم الحاقدة أقبل الآن كي نكسر القاعدة
ونستثني الحب من كأس أوهامنا الجامدة فقل للحمام انتظرنا على شجر النار
أنت الذي يصنع الشمس للأمة الخالدة دمشق التي لم تجيء بعد
جاءت تسرح شعر الليالي بأقمارها.
وفلسطين تلك اليتيمة طلت يتيمة ومن كان كل صباح يبوس يديها ويحلف أن سيعود إليها إلى قاتل الورد قد باعها ثم وقع صك الجريمة
فلسطين تلك اليتيمة ظلت يتيمة
وأنا المتجول في صوتها لا يراها سواي
يجيء المخاض فكيف تمر إلى زمن لا يجيء نخيل العراق
وتلك المنافي قناديلها السود مالحة والمسافات أمارة إلى الرحيل
دمشق التي لم تجيء بعد.. جاءت هي الآن تربط شريانها بشريط من الوجع العربي
وظلت كما صاغها الله حرة..

عنده رمز الترابط الإنساني العربي القومي المعاصر بكل ما يستشعره من ضعف وذل مثل البعض اليوم تنازل عن كثير من الحق والمبادئ المقدسة.

إن الشاعر عندما يصف لنا حاضر الأمة العربية بشكل عام وواقع الإنسان الفلسطيني بشكل خاص وبالذات هذا الإنسان الفلسطيني اللاجئ الذي يعيش في مهب المنفى نتيجة الظروف المأساوية التي جاءت بها النكبة في عام 1948 القاسية التي أحاطت به حيث وصفها بأنها ساهمت في زيادة قسوة الظروف بفعل الاحتلال الصهيوني بالإضافة إلى الأوضاع الاجتماعية الصعبة التي يعيشها اللاجئ في مخيمات اللجوء والشتات، في قصيدة له يقول الشاعر؛

إلى أين أدعوك؟!!
لا بيت لي غير هذي القصائد عمرتها في مهب المنافي
وماذا سأطعم عصفور عينيك لا قمح عندي سوى هذه الغربة اليابسة عليها أمد ضفافي..
ثماري بغير ثمار ومالي هنا موسم للقطاف دمي واحة..
والأفاعي على الرمل يأكلن من بلحي
كوني كما شكلتك فلسطين زيتونة غير قابلة للجفاف..

يبدو أنه كان أمل الشاعر دائماً يولد أمل ويترعرع أمله في ظل الثورة والمقاومة والانتفاضة، ثم صراع المصير مع هذا الكيان الغاصب وصبر الإحساس مناجاة الحياة وهو الشعور الأساسي الذي يستولي على الشخصية الفلسطينية ويقودها إلى تنمية واعية على المستوى الذهني والفكري.. ومع هذا يذكرنا بين الحين والآخر بهذه المشابهة يقول أبيات متفرقة من خلال قصيدة «القمح يتيم يا مريم»؛

في عيد الميلاد تدق الأشجار نواقيس الماء وتصوغ الأرض قيامتها من نبض الشهداء
مريم تطحن قمح محبتها لتوزعه بين الفقراء
هذا العام القمح يتيم يا مريم لم ينجب غير دماء ودموع
كل فلسطين حواجز حمراء
يا أطفال فلسطين
أضيئوا من دمكم شجرة ميلاد الحب وصلوا دمكم لفلسطين يتأهب كي يذبح طير الحرية
ستظل بنادقنا في أيدينا
أما غصن الزيتون الأخضر فسيبقى مزروعاً فينا

هنا سخرية الشاعر لم تكن سخرية هدامة، بل كانت سخرية خطابية ذكية تستطيع أن تخلق من المواقف السلبية دفعاً نحو الحرية فهي سخرية رمزية استفزازية تستند إلى المشترك الثقافي الضروري في عمليتي الاستقبال والإنتاج، فهو يعلم. بمعرفة اللاجئ الصابر والمصمم على العودة إلى أرضه وبيته الذي هجر منه قسراً، وهذا من صفات الإنسان الثائر المناضل، وإنه سيصل إلى نتيجة حتمية وهي الانتصار على العدو الغاصب.

كما هو حال المقاومة في لبنان والتي حققت من المستحيل.

إن هذا التشابه بين الفقراء والحرمان في عيد الميلاد والذي يصل إلى هذا الحد فإن التوحد إلى درجة الصبر والصمود والمقاومة، هو الذي يجعل أطفال فلسطين أن يجزموا بشكل لا يقبل الشك أنها إرادة هذا العشب القوية والتي لا تساوم على حبة تراب من أرض فلسطين. وهنا تبدأ عند الشاعر السخرية الذكية بالتخيير بين مقارعة الأعداء والتي يرمز لها بالبقاء بالشهداء إلى الموت

فلسطين أنت الفراشات تصطاف حول مصابيح روحي
يسافر في ضوءك الكستنائي قلبي
ويمشي على عشبك النبوي دمي
فكوني إذن قبلتي أو فكوني إذن قبلتي
هنا أنت.. لا أنت إلا أنا أحسد الموت..
حين يلامس ليمونك الكر ملي يصير سيوفاً من البرق
أحسد الشمس تخبز لحم المضمد
تعالي إذن لنصب الهواء على جرحنا
كل هذي المنافي على وسعها
وأنا عاشق ياسمين يديك
تباركت زيتونة تتناسل تحت الدمار
فادخلي الآن جنتي يا جنين لا اخرجي من كتاب البنفسج يا شوكة الاحتلال
هي الأرض حين تقوم بفورة على زندها برتقال الدماء
فغصن يضيء.. وغصن يضاء ولن تنتهي دورة البرتقال..

في هذه القصيدة بين بنيتين نصيتين كبيرتين ومتناقضتين في الوقت نفسه، أولهما يمثلها الحب بألوانه الكثيرة، والأخرى يمثلها بالأرض بالوطن وما عليه من مواطنة الانتماء مستعيناً بتقنية من تقنيات اللغة والحداثة الرمزية السردية وهي الاسترجاء على مستقبل الماضي الحديث.

إن هذا التناقض الذي تجاوز المفردة في النص الشعري والذي تجاوز السطر ليمتد إلى غرض التحريض إلى قصيدة المستقبل.

فإن قصيدة طويت عليك جناحي هي أحد القصائد التحريضية التي سلك فيها الشاعر سلكاً قد يبدو للوهلة الأولى سهلاً فلغته لا يشوبها غموض، ويقل فيها المجاز حتى نكاد نقول عنها إنها قصيدة مباشرة، إلا أن المتمعن فيها يعرف أنها كتبت بلغة مضللة تعتمد على المشترك الثقافي الذي يعد أساس فهم الرمز الذي يخلق في القارئ إمكانية تخيل أفضل. يهدي صالح هواري عمله إلى قرية سمخ التي يحضنها البحر وإلى الحياة التي لا تستأهل قشرة حزن يذرفها على بابها.

في مهبِّ الجرح

• لينة ياسين النويلاتي

فوق موجة عتيقة
رجلٌ يصارع البحر
روحٌ تمتطي زوبعة مرجان
عطرٌ يحتضر ،
لا أحد ... !
شفةُ القمر .. خجلى
ظلٌّ .. يتمطّى
موائدُ من صمت ..وبركان
لاشيء !...
إلا رصاصة واحدة
تمنحني يقينَ الجسد ..
قرطٌ يتدلى فوق الزبد ،
أتبرّجُ لأجلكَ ، وطني
أتبرّجُ بدمي ..

• • •

هذا المساء
أعيد ترتيب ذاكرتي المؤجلة
وأعيد إليّ صوتي، وحواسي
المعطّلة
أرتّب ورودي الموشحة بالتحدي ،
في قلوب العاشقين !!
و أنت .. أيا سيد الأحلام وطني،
وحدك ترسم الآن وجوه المارين ،
تبحث عن رغيف أمل ،
تتساقط توابيتُ الفرح ،
تتأوّه الجدران ..
لاظلال هنا ..لا نوافذ هناك ،
وفي اتساع المدى
حيث لا يبقى غيرُمشهد السراب
في صحراء الروح
ثمة فتاوى لقتل البوح
حتى آخر الآآآآه ...
وماهي إلا صرخة واحدة ،
وتصير مدن العزاء خياماً ،
ويتعسر مخاض الموت !

• • •

في قائمة السنين ..
أيا سيدة المدن العاشقة للصبر
أيا دمشق
وأنا أتلف آخر الاحزان من
ذاكرتي
ثمةُ أسماء تنهضُ ،
تغسلُ طرقات الوجع
و أخرى يمسحُها من الذاكرة
حزنُ الياسمين ..!!
هذي مدني ،
أيا مستبيحا حدود وطني ..
فلتكن روحي للبارود والنار
برداً وسلاما ،
تاهت كلُّ العناوين ،
ووحدها دمشق خارطتي .....
كطفلة أنهكها التعب
أسندُ روحي على وسادة صدرك
روحا من عبق !!!

أيَها الوطن الطاعن في الشموخ
دثّرني من الطاغوت
أرجعني من كفن الموتِ
ففي مهبّ الجرح ،
يتكسّر السؤال إثر السؤال ،
و أنا أبحث عن المحال ،
فكيف لحبة قمح ... هذا الثأرُ
أن يُصلبَ فيها الخصبُ
وكيف لوطن الياسمين .. ذياك
الفجرُ
أن يُستباحَ فيه العطرُ ؟!

• • •

وطني ..أيا تراتيل قاسيون إذ
يعانق بردى
والنجمتان تساهران التراب
مددا..
أنصتْ .. أيها العابر الفراتَ
جسدا،
أنصتْ .. أنين النواعير فوق
النواح ،
و الآاااااه من صدر الأضاحي
انصتْ للصابرين في الشهباء ،
كيف العمر تبددا ؟!..

• • •

أيا شهيدا .. والشهادةُ مجدنا
مرّ بي سلاما على ضفاف الوقت
أعدْ إليّ البعث والولادة ،
فأنا الشهيدةُ .. لا أنتَ
أنا الشهيدة لا أنتَ ...
فهل ذقت يوماً في الحياة .. طعم
الموتْ ؟
حان الآن أيا وطني
تمرّد السواعد على الكلمات ...
آن انعتاق الليل عن النهار
قد بدأنا ساعة الصفر !
نقسم بكل أمٍّ ثكلى و يتيم ،
بدم كلّ شهيد ، و صرخة جريح
وبالخنساء مجدّدا
نقسم أننا :
صامدون رغم الجراح ..
صامدون رغم الجراح ..
صامدون ههنا ...وهنا دمشق
هنا دمشق ...
وهنا النصر آت ..
أقسمُ .. أقسمُ
سيتصدر النصرُ غداً
عناوينَ الصباح .. رغم
الجراح!.....

سريرُ المَدَى حَرفُ

•د. محمد سعيد العتيق

يَرتاحُ حَرفي في زِحَام الحِبر
وَ يَنامُ طيفي في سهوب الفكرِ
يَسقِي ظَميءَ المَاءِ يغْفُو في النَّدَى
وَ يُفَارِقُ الأحْلامَ قبْلَ الفَجرِ
تَعِبٌ كَمَا فأسُ الصَّباحِ منَ الرَّدى
قبري المَدَى ، كفَني بَقَايَا الصَّدرِ
أَشْجَانُ أغنيةِ الصَّدَى ، يَبَسُ النَّدَى
كالنَّايِ يشْجُي مبكياتِ الدَّهر
شعري بَنَاتُ الدَّهرِ يحكِينَ الرُّؤى
وَ العُمرُ مَأدُبَةُ الخَريفِ المُرِّ
في الظُّهرِ أضْلَاعي جَنَاحُ فَراشَة
وَ تَذُوبُ مثْلَ الظِلِّ بَعْدَ العَصرِ
وَ القَلبُ يَشقَى عَارِيًا متَنَاثرًا
بينَ الرَّمادِ وَ ذَارِيَاتِ البَحرِ
دُنْيَا مُقَطَّعَةُ الوِصَالِ بعيدَةٌ
في كلِّ رُكنٍ سَورَةٌ للجَمرِ
وَ علَى ضِفافِ الرُّوحِ ألفُ حكايةٍ
تَرْوِي دُموعَكَ يَا عشيرَ القهرِ
في الملحِ سَوَّسَ حائرٌ مُتَلَوِّنٌ
وَالرَّملُ يَشكُو وَطءَ وَهجِ البدْرِ
هذا العِراكُ خريطَةٌ أبوابُهَا
غَدرُ الذِّئابِ وَ مائِلاتُ العُمرِ
للعنْكَبوتِ جِدارُ بيتي نَخلَةٌ
نَصَبَ الشِّباكَ ليَحتَمي في التَّمرِ
وَ يَلُمُّ أشْتَاتَ الزَّمانِ بدَفتَرٍ
وَ يبُثُّ رُوحًا في موات الزَّهرِ
أمْطارُ هذا اللَّيلِ رَجْعُ طفُولَتي
وَ بُروقُ ذاكَ الأمسِ وَمضُ البِشرِ
وَ البوحُ نبضُ الوجدِ لمَّا تزْدَهي
هذي الحَياةُ بدالِياتِ العِطرِ
الذَّاتُ ضَوءٌ و الظَّلامُ كَأنْفُس
رَحِّلْ بَيَاضَكَ عنْ سَوَادِ البَدْرِ
الذَّاتُ عينٌ وَ الظَّلامُ سَوادُها
مَا نفعُ عينكَ في ظَلامِ الأَسْرِ
الآنَ أدْركُ ما اعْتَراني مَنْ أنَا
وَ السِّرُّ أضْحَى بائنًا في الشَّعْرِ
مَاستْ على شَفَتي الحُروفُ بخَدِّهَا
وَ تمَايَسَتْ نَشوَى بِدنِّ الخَمْرِ
فَرَسَمْتُهَا قَمَرًا على خَدِّ السَّمَا
وَغمستُ شعريَ في خَوابي السِّحرِ
منْ شرفَتَينِ على امْتدَادِ مَواجعي
نَامَ العتيقُ وَظِلُّهُ في النَّهرِ
وَ مشَى إلى حيثُ الضِّياءُ يصوغُهُ
ليعيدَ تلوينَ العُيونِ الخُضْرِ

قلادة

•طاهر عجيب

-1-

التقط أنفاسه الأخيرة، تنهد بعمق شديد، بشيء من العصبية مسح العرق المتصبب من جبهته، أفرغ حمولة يديه من غالونات :المياه، مخاطبا البرميل المعدني المزيبق

كنت ذات يوما خزانا لمؤونة البيت من زيت الزيتون، نرفدك » به من محصولنا، أما وقد أحرق الإرهابيون ما نملك من أشجار، فأمسيت الآن مجمعا لماء الحياة، بعد أن قطع مداده المتوحشون، إنها نقلتي الأخيرة لهذا اليوم، كفاني تنقلا بين بئر معطلة أصلح شأنها مؤخرا، واللحاق بصهريج مجازف، وبائع متجول. اطمأن على سوية الماء داخل الوعاء، تناول الغطاء، أراد إحكامه ببطء، فجأة يتكسر الاطمئنان على هدير أصوات وجلبة، تيقن أن المنزل أمام مداهمة :تنذر بخطر ماحق

افتح الباب أيها الكافر، قرعٌ يضاهي دق طبول الحرب في شدته وعظمته، لا أحد يستجيب.. لعلع صوت الإطلاق، دوي انفجار هائل، ترنح الباب الخارجي، يتقاوى بالجدار المتصدع...سباب وشتائم مما ...تعودت أذناه على نغماتها مؤخرا

أيها الكافر الموالي، إما أن تسلم ولديك وابنتك، وإما البيت مقبرة » «...لكم

:صوت متهدج لامس حد الثبات

لا أولاد في الداخل، خذوني رهينة، أجاب الأب »

يا كافر، يا منافق، حاجتنا إلى أولادك، وليس أنت

خافوا الله يا جماعة، لا أحد هنا سواي

تجرّد ولده البكر من غرفته، اقتحم أجواء المعركة الناشبة، نحّى :والده جانبا، جاعلا من جسده درعا لأبيه، صار في المواجهة

" ما تسعون إليه عصيٌّ عليكم أيها الأنذال "

:بغضب وحشي، اندفع أحدهم يريد تكتيفه، وآخر يأخذه بلطف ..نريدك حيا فحسب " ... وذهب يفتش عن الولد الثاني "

الأب ينادي ربه أن يحافظ ابنه هذا على تخفيه... صمود الروح، وقوة الشكيمة، خلصت الابن الأول من براثن الإرهابي، سَهم نفسه نحو الآخر، وجده يعبث تخريبا في أشياء البيت، حاول الالتحام به، ضربة من كعب البارودة، كانت كفيلة بإسقاطه أرضا انكب الأب يغطيه بجسده، التحما، باتا جسدا واحدا، ما لبثت أيدي وأرجل الطغاة تعمل رفسا وضربا بهذه الكتلة من البشرية البريئة. إلى أن أمعنت سكين الحقد من شق الجسد الملتحم فشطرته، صوت الرفض يستدعي الموت. كبّر الجناة، فجاء الحكم بجز الرقاب أبْن البيت خلانه، وذهب قاضي .الزمن يستنطق الأشياء

-2-

خلّص قامته الغاطسة في مياه البرميل المعدني، تداعت الحقائق والأوهام في ذهنه، ذهب يتفقد مسرح الجريمة، توقف عند رأس أبيه، ناشد الرجولة، فطاوعته، هاجمته العاطفة، فصلبته الإرادة، فمنعت :عنه البكاء، جعلته يرثيه

يا وارث القلعة، إني أحسبك قلت لهم: أرض حلب تعوم فوق برك » من دماء أجدادي ذوداً عن الحِمى، كل قطرة ممزوجة بالتراب تنبت غرسة، لا تلبث أن تخضر، تثمر أولاداً جذورهم ضاربة في الأعماق، :وسيقانها سامقات برايات تخاطب من في السماء والأرض

أرفرف في الأعالي، في الأعالي فوق، ألاقح الغيمات، أضيء فوق، » ..أرضي عطشى، للغيث باتت في شوق

:يتوجه نحو رأس أخيه، ناجاه

كنت أسمع صوتك الهادر وأنت تواجه يد الغدر تقول: ذلك هو » .» رأسي... قد اهتدى بخطا رأس سيدنا الحسين... فهيهات منا الذلة :كرّت الحقائق، فعاد إلى البرميل المعدني، فتأنسن من جديد

لكأنك تذكرني بالطفل الفلسطيني محمد الدرة، قضى شهيداً بين » أحضان أبيه، متخذاً من البرميل المعدني متراسا لحمايته من رصاص .» العدو الصهيوني

..هذا يعطيك دليلا على أن العدو واحد، والقضية واحدة

..لا أدري لم لم تشفع حيلة الأب هناك، وقد كنت لي هنا الملاذ الآن؟ وكأن المشكلة هناك جافاها الإعداد الجيد للمواجهة، الأصحاب فيها لم يهيئوا من أمرهم رشدا فأفرغوني... أما أنت هنا، فاجتهدت ....وأعددت للأمر عدته. فكنت لك بردا وسلاما

رجع الشاب إلى ذاته... فقدر جيدا ثمن مجهوده، وربما سخط على نفسه عندما كان يتردد في فضح الماء... عاد إلى الثمانين... روح ...متمردة جعلته يبحث عن درب، يقوده مباشرة إلى الانتصار لقضيته

-3-

صخب وضوضاء في الداخل، الأشياء تستنطق نفسها، يتوارى البيت خلف الصمت، أشعل قناديله، فأضاءت الزوايا المعتمة... سطع ضياء، فبدد الليل الأليل، فانكشفت صورته في المرآة على تجلياتها، دقق في تفاصيل جسده. تفقد روحه، فإذا بها عصية على كل موت، سرت في تضاعيفه نشوة الإقدام. فأمسك بتلابيب اللحظة المؤاتية... إنها لحظة الحقيقة، فإلى المسعى يانزار. ما يعزيه الآن نجاة أمه ....وشقيقته، فهما منذ مدة في ضيافة أهل الساحل

-4-

خلف المنزل المنكوب دراءه، تخفى بجلبات ليلة دكناء، جسده يتلوى، يتحودب يستقيم، يستوي أرضا... في محاولات منه لرسم خط نجاة عبر أحد أحياء حلب القديمة، إلى أقرب نقطة آمنة... هكذا تناوبت مؤلفات كيانه مع مفاعيل عقله وفكره، وخط النجاة المرسوم في الذهن، ينضبط جيدا على جغرافية المكان، كما لو أن مقاتلا عنيدا يفتح ثغرا ...في حقول الألغام، بحثا عن عون آمن لإخوته المتقدمين نحو العدو :في نقطة ما، تخيل أن الأجل يكمن له فيها

... قف مكانك « صوت أرعد مفاصله »

لا يدري كيف نطق بكلمة « أنا موال» هل هي الحقيقة بعينها، أم أن جرعة التحدي التي شربها من كأسي أبيه وأخيه، ما زالت تسري في شرايينه، مهما يكن من حال... فقد أعطى نفسه هذه الصفة، والباقي :على صاحب الأمر... وهذا قد دعاه للتعريف بنفسه

...نزار بن محمد القهوجي .. من حارة ؟؟ »

أشعل الحارس مصباحا خافتا، فكشف عن هيئة تحمل علما أبيض، :وما زال الحارس على بأسه

...تقدم - تقدم ... حذار . حذار من الإتيان بأية حركة

أيقن نزار أنه قد تجاوز المحنة، بات الآن في دار الأمان. خطا بالاتجاه ...متسلحا بعزيمة أشد

جعله الحارس ينزرع كوتر في الأرض، بات على مقربة ثلاث خطوات :منه، وهذا شاهر سلاحه بالوجه، وهو يأمر

...قدّم نفسك مرة ثانية

:أعاد نزار التعريف... مضيفا

..أريد الانضمام إلى بواسل جيش سورية العظيمة

وما زال في مكانه متشبثا، رافع اليدين... فتقدم نحوه هذا متحاذرا ..ببارودته

صارا وجها لوجه، يثبت سلاحه بيد، وبالأخرى يتحراه، فما إن اطمأن، حتى تراجع به إلى الخلف... وجّهه إلى قائد المفرزة، ففعل ...

-5-

كان الملازم أول عدنان يراقب الحالة عن كثب، بات متهيباً لاستقبال هذا القادم من فوهة الموت... شبح ابتسامة رضا، كشف عنها ضوء باهت، في ركن خرب، محافظا على رباطة جأش، دلت عليه نبرة صوته، طالبا من الشاب إعادة تقديم نفسه ومراميه... فامتثل بثقة ..وكبرياء

هنا، تجانست المشاعر فيما بينها، فسرعان ما ذهبت تبحث عن المؤاخاة، فطلب إليه الجلوس، فاستراح على كرسي بدا كما لو أنه منتشل من بين الأنقاض، كان له ندا، يعلو بقدره الذي تسلح به، وجعله :يعرّف عن نفسه على نحو أكثر إجلاء

أنا المهندس الميكانيكي نزار، كنت انتظر فرصة عمل، وها هي قد » .. واتتني والحمد لله

التمحت الدهشة على وجه الملازم أول، وخيل إليه أنه أمام أهبل، جاء يرجو عملا من مقاتل معفر بالغبار، مسربل بعتاده وسلاحه... فدعته فطنته إلى عدم تعكير صفو الضابط، ولو للحظة واحدة، :فاستبقه مضيفا

... أريد التطوع في الجيش العربي السوري »

هل هي ردة فعل، أم إيمان قاطع؟.... تساءل الضابط وقد لامست ...وجدانه مسحة من الإعجاب

شهادتي وسيلتي لإنجاز هدفين معا: رفعة القدر، وجواز السفر، » كلاهما يرسمان للمرء خطوط دروبه في الحياة... فلا أجل، ولا أسمى من كفاح يلبي نداء وطن مجروح، ويدغدغ مشاعر طفل مشرد... ...ويواسي أما مكلومة

يقطع المؤانسة صوت قذيفة هاون على مقربة من المكان، أعقبها دوي انفجار هائل لقذيفة مدفع جهنم... ازدادت حدة التوتر، فأمر الملازم ..أول بإيصال الضيف إلى الضابط القائد

-6-

هنا، باتت الأمور أشد انقشاعا، غرفة عمليات مؤقتة، اتخذها القائد من ملجأ لبناء كان مسرحا لمعارك طاحنة بين الصديق والعدو... بدا الضابط الميداني، متماسكا وهو يصدر الأوامر بالرد على مصادر النيران... فتوقف نزار مع مرافقه بالباب قليلا، ما لبث القائد أن أذن بالدخول... أوصل المرافق الرسالة، استأذن بالانصراف... واتخذ الضيف مجلسه، مراقبا، متبحرا في هذه الهيئة الطاغية، تجلت فيها الهيبة والوقار، الضابط برتبة عقيد ركن، قد حجب حامل المزود نجمتين من أصل الرتبة.. كأن عرق المعارك قد طهر جسده، فبان وجهه الحنطي المستدير، كما لو أن صاحبه خارج لتوه من حمام دافئ، :لامسته يد حلاق ماهر، ما جعل الضيف يقول في ذاته

يا لهؤلاء النمور، يتجاوزون المحن ومصاعب الأمور، وهم على » ... استعداد ونعيم موفور

ارتشف القائد ما كان في الكأس من مشروب الزهورات، تناول كأساً :فارغا، أملأه، صب له آخر... أشار إلى الضيف وهو يحتسي مشروبه تفضل ، ألا تحب تناول الزهورات ؟ »

.إنه مشروبي المفضل

إذن، أنت المهندس نزار، تودُّ التطوع في الجيش العربي السوري، فما الذي جاء بك إلينا بهذا الوقت العصيب، وما دفعك إلى التطوع؟

مهد الشاب لإجابته، فاستعرض حال مدينة حلب بخاصة وسورية بعامة، إلى أن جاء على حادثة قتل أبيه وأخيه، وكيف اتخذ قراره ...النهائي

:لامست وجدان الضابط مسحة من الحزن... فآسى ضيفه.. وأردف عظيم، عظيم، أقدر فيك هذه الاندفاعة الوطنية... إنها سجية " الأهل في حلب، ما جعلها عصية، حصينة أمام الغزاة والعملاء، ولكن قل لي هل ما زلت على ثبات موقفك، خاصة أنت الوحيد والمعيل ...الآن

.. حسِمتُ أمري، والرزق على الله "

حسنا، حسنا.. لكن شهادتك تؤهلك لأن تكون ضابطاً برتبة ملازم :أول، وهذا يقتضي اتباع دورات ودورات...و... قاطعه

...حسبي الآن أن أكون في الميدان »

هز الضابط رأسه، تمعن في صفحات الشاب، فسأل عن سوابق معرفته :بالعلم العسكري... وسلاحه... فأجابه

كنتم في حروبكم مع الأعداء، المدرسة القدوة في العلم العسكري " بشقيه العملي والنظري، ثم إنني على إلمام جيد بسلاح الدوشكا ...والرشاش والبارودة الروسية

علت ابتسامة إعجاب وجه الضابط، نادى على أحد المقاتلين بجلب :القهوة، ثم التفت إلى الشاب، وتساءل ببشاشة ظاهرة

..ماذا لو وُضعت بأمرة من هو أدنى منك مرتبة ؟

سيدي القائد، لقد انحفرت بالأذهان كلمة – مقاتل- وهي على إطلاقها أفراد وصف ضباط، وضباط، بما فيهم القادة، فالإقدام ...عندنا هو الأساس

يا لك من مقاتل عنيد... إني لأرى فيك ضابطاً ألمعياً، قادماً بقوة إلى صفوف هذا الجيش المقدام... ودخل في صمت، كأنه يفتش عن أمر يريد إضافته، على حين كانت تدغدغ مخيلة نزار هالة ذلك المقاتل العتيد، وربما أغرته رتبة ملازم أول، كما هي تغوي الآن السواد من الصبايا والشباب... وجاءت القهوة، وتناول كل منهما فنجانه... وعند رشفة القائد الأولى... ابتدره بسره

غداً، أوبعد غد، سيكون لنا الهجوم المعاكس الثاني على مخيم" :حنداراتو...و... وقاطعه بشيء من اللهفة

...» أريد المشاركة في معركة استعادة المخيم »

فوجئ الضابط بتسرع ضيفه، وباختياره لمكان بعينه، فتساءل عن مبعث ذلك، فأجابه: " إنه قطع رأسيْ أبي وأخي .. وغيرهم.. لم يكن ليحصل لولا الموقف المبدئي لبلدي سورية من القضية الفلسطينية، وجز رأس الطفل "عبد الله عيسى" كأنما هي رسالة أعداء الحق في الحياة. أن قضية فلسطين، أمست قربانا لضحايا الهيكل، قد قدمهما النظام العربي المتصهين، وأن الحلم السوري قد بُتر، كما بتر رأس عبد ..الله

ومرة أخرى، يُبشُ وجه الضابط، ثم لا يلبث أن يرسم عليه علامة استفهام عندما تساءل فيما إذا كان الشاب قد تزوج، أو ما زال على ذمة نفسه، فأسرع هذه وأعلن أنه على موعد مع زفاف من فتاته المهندسة "أحلام" زميلته في الكلية، وهي الآن في الجانب الشرقي من حلب، يهاتفها من حين لآخر

..هل نلت موافقها على ما تنوي الإقدام عليه؟

لعلها قد سبقتني في هذا الميدان، فهي منذ مدة، متطوعة في جمعية نداء سيدات حلب للأعمال الخيرية، ورعايا شؤون الجرحى من ..عسكريين ومدنيين

لقد ذلل نزار العقبات من أمامه، واقتنع القائد بملء أجفانه بما سوغه له الضيف العزيز، فهيأ له السبيل... ملامسا مشاعره عندما طلب الإذن بالتحدث إلى العروس... وعبر الأثير يبارك لها خيارها :خاتما قوله

أمنياتي أن ألقاك قريباً تزهوين بمقاتل من رتبة ملازم أول، في " ..زفاف مهيب

لغتي تباركُ مولدَ السَّمراءِ

• محمّد شريف سلمون

لغتي تباركُ مولدَ السَّمراءِ
أرضي تباركُ عيدَها وسمائي
فجَّرتِ يا نورَ الجّوانحِ مُهجَتي
إكسيرَعطفٍ من صفا صمّاءِ
فتغلغلَ الحرفُ العطوفُ مكوِّنا
عصْمَاءَ بَزَّتْ أحرُفَ الشُّعراءِ
وُلدتْ معَ التاريخِ ثمَّ ترعْرَعَتْ
في حضنِ أهلِ الضادِ في الصحراءِ
ثمَّ استقامَتْ، فانبرى سَقَطُ الورى
ليُشوِّهوا، ياخيبةَ الأعداءِ!
أيُعثمنُونكِ؟ عُرِّبوا، أيُفرنسو-
- نكِ؟ حُوربوا، وصَمَدْتِ للهوجاءِ
قدْ حاولوا طمْسَ المعالمِ مادروا
أنَّ الرزيَّةَ َغضْبَةُ الشَمَّاءِ
ينسى الأعاجمُ يومَ كنْتِ أميرَةَ الـ-
- كونيْنِ كنْتِ مَفاءَةَ العلماءِ
كلُّ اللغاتِ أمامَ سحْرِكِ عُرِّيَتْ
لبليغِ ما تحْوينَ من إيحاءِ

ومرونةِ جِرْسُ الحروفِ يَزينُها
تهَبُ ابتهاجَ النفسِ بالإصغاءِ
وزيادةُ الحرفِ الجليلِ لكلْمَةٍ
يُغني المُرادَ .. وأيَّما إغناءِ
هلْ قصَّرَتْ أمَّ النحاةِ بواجبٍ
في ربطها الأفعالَ بالأسماءِ
هلْ قصَّرَتْ في علمكَ ابنَ الهيثمِ؟
أوَ ما صَفتْ أفكارُكَ ابنَ عطاءِ؟
لبسَتْ لغاتُ الكونِ عُريَ أصولها
ولبِسْتِ أنتِ طهارةَ العذراءِ

زَيْنَ اللغاتِ وفخرَ أهليكِ الألى
مدحوكِ في المعنى وفي الإلقاءِ
فرأوكِ يا أُمَّاهُ إرثاً طيِّباً
يُسْقَاهُ أحفادٌ عن الأبناءِ
أمَّا أنا فالقلبُ ملآنٌ هوىً
بالنحوِ والتّصريفِ والإملاءِ
أنا شاعرُ الحرفِ البريءِ وإنّني
ألقي إليكِ ببيعةِ الشُّعراءِ
إنّي أحبُّكِ يا عرينَ عروبتي
لكنَّ نبْضَ القلبِ للسَّمراءِ

وشوم

• علي جمعة الكعود

لم يبقَ منّي
ما يدلُّ عليّا
إلّا وشومٌ في محيطِ
يديّا
أنا غصّةُ التاريخِ
فيحلْق الرؤى
لم يرْوَني
أحدٌ سوى شفتيّا
دأبي أخيْطُ حكايتي بمآبرِ
صدأتْ لكوني
قد وُلدتُ شقيّا
عبثيّتي
صارتْ مثارَ تجادلٍ
عبر الزمانِ
ولم أكنْ عبثيّا
متعلِّقٌ
-لاكالغريقِ – بكلمةٍ
ورهنتُ قلبيَ
راضياً مرْضيّا
تتوسّلُ الكلماتُ رأفةَ أحرفٍ
والوحيُ فجرٌ
لا أرا هُنديّا
بدمي
غسلتُ الروحَ من آثارها
لأظلَّ في
فلكِ العذابِ وصيّا .

عهد اليـــراع

• منير خلف

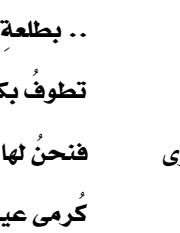

إلى الصديق الشّاعر صالح محمود سلمان

سكبتُ
في رخاء المحبّةِ ؟
على سطر الجمالِ
أراك أخاً
مدامعاً
فيما ستسعى
فيا صالحُ اذكرْني
وإنّني إليكَ
وكحّلْ قصيدتي
سأسعى
فإنْ كنتَ من قلبي
في رخائي
قريباً
وشقوتي
فإنّني قريبٌ بذا ..
رأيتُكَ توّاقاً
منّي إليك كلوعتي
لمجدِ تراهُ
وإنْ كنتُ مشتاقاً إليكَ
في طريقِ أخيكَ الحُرِّ
فها أنا
في كلِّ فكرةٍ
أراكَ بعطرِ الشّوق
سنبقى على عهد اليراع
قد زدتَ حسرتي
حدائقاً
فيا أيها الإنسانُ
أزاهرها الإبداعُ
أطلقْ نداءَ ما
في كلِّ كلْمـةٍ
خُلقْنا لهُ
وتبقى حياةُ الحرفِ
في صحو حالِ إخوّةٍ
طوعاً لِمَا نرى،
إلى كلِّ إنسانٍ
كلانا بداء الشوقِ
تراه أخاً لنا
يسمو بطلعةٍ ..
-يروِّي غِرَاسَ الحبِّ-
.. بطلعةِ أقمارٍ
بلّغْ تحيّتي
تطوفُ بكرمنـا
فهل من حياةٍ
فنحنُ لها
سوف نحيا لكي نرى
كُرمى عيون البريّـةِ
عناقَ إخاءٍ

زقزقات وهديل على صخرة الشام

•د. نزار بني المرجة

1.-
تسعفني الصخرة تلو الصخرة
والقلعةُ تلو القلعة
كم حصناً.. تسكن -
يا جسدي؟
كم حصناً يسكنك الآن؟ ..
قالوا: الخطر كبيرٌ جداً ..
قد تقتلع الريح العاتية ..
جذور التين
والزيتونْ ..!
قلت: فماذا عن طورسنينْ؟
ماذا عن زقزقة عصافيرٍ..
وهديل حمامْ؟
ماذا عن أجساد الشهداء ..
المزروعة في أرض الشامْ؟
ماذا عن أرواح الشهداء ..
واسطة العقد مابين الشام
وعليينْ؟

-2-
ليس غباراً تربك يا شامُ ..
تربكِ.. تبرُّ.. يلمع.. لا..
يفنى!
تربكِ حنّاء الصخرِ ..
المجبول بأجساد الشهداءْ
فهنا تنبت أشجارُ السروِ ..
وأشجارُ الحورِ
السامقةُ النابتةُ من الصدرِ
إلى أعلى العلياءْ!
تربكِ حنّاء الصخرِ ..
..المجبولة بدموع الأمّ
يخالطها نسغٌ ودماءْ
..قالوا: الخطر كبير جداً ..
قلت: فماذا عن أمٍّ خلف
الصخرة والقلعة تلك؟
ماذا عن أحجارٍ/ جمرات ..
تقذفها الأيدي
ترجمُ كل شياطين
الأرض؟!
قالوا: الخطر كبيرٌ..
ويداهمنا الآن
قلت: تعالو.. نامو ملء
العين
فالشام ملاذٌ للإيمان وللإنسان
..قالوا: ماذا عن قتلٍ
خطفٍ
حرقٍ
هدمٍ
تدميرٍ للبنيان؟
قلت: الصخر ملاذٌ آمن للروح..
العاشقة
الوطن/
الأرض/العرض
قلت: نتوءات الصخر..
ملاذات
لعصافير الأرض
حمام..
الدنيا
تتشبث فيها الأيدي المؤمنة
بأن الصخرةُ
!قدّت من هذي الأجساد
وبأيدينا.. بأصابعنا المتشبثة
المثخنة
المبتلّة بالدم
هذي الصخرة.. تزداد..
!صلابة
أو ليست مثل الصخرة.. تلك..
الأم؟
والآن.. والآن
هذا الجسد.. وهذي الروح..
وهذا الدم
فداكِ الآن..
يا أقدس أم
..يا أرض الشام..

قفزة قبل الأوان

•غسان حورانية

عندما عاد شيبوب إلى عمله الأساسي سائقاً، لنقل عناصر المعمل، لم يعد كما كان وكما عرفه الجميع، فقد بدا كئيباً محبطاً فاقداً لطلاوة حديثه وعذوبة لسانه.. فلم يعد لديه ما يتطلع إليه، مما ذكرني بغراب "ابن المقفع" عندما أعجبته مشية الحجلة، فطمع في تقليدها، وراض نفسه عليها، فلم يقدر على إحكامها، فانصرف إلى مشيته التي كان عليها، فلم يعد يحسنها.

وتذكرت حماسته عندما قدمته إلى لجنة التعيينات- بعد أن أنهكه العمل على الخطوط الداخلية، وما يرافقه من (طالع ونازل) ومزاحمة الزملاء وتعرضاه لمضايقات رجال المرور "على حد قوله"

لم يترك آنئذ لتلك اللجنة عند المقابلة أية فرصة أو مأخذ، فقد كانت كل إجاباته تشعر بنفس هائئة رضية قانعة: (كما تريدون)، (أنا بالخدمة)، النقود ليست كل شيء عندي، لقد أحببتكم وأحببت العمل عندكم، ومعي هذا "الميكرو" حسب طلبكم "مازدا" مدلل ما باس تمه إلا أمه "دق له بيرقص".

تبسم أعضاء اللجنة من هذه العبارات العفوية، وأخذوا ينقلون أبصارهم بين شيبوب بكرشه المتدلي وقد سحب معه القسم السفلي من قميصه المدلل بالعرق خارج بنطاله المسترخي تحت حركة المد والجزر المستمرة، وبين "عروسه الميكرو" ثم التفت رئيس اللجنة نحو رفاقه وقد آنس منهم القبول قائلاً: لم يبق لنا الأخ أية حجة فلنجرب العمل معه من الغد.

كان العمل الرئيس المنوط به هو إحضار الموظفين من أطباء وصيادلة وكيميائيين وفنيين وغيرهم صباحاً إلى المعمل وإعادتهم عند انتهاء الدوام، وكل ما يستجد من طلبات في هذا المجال.

وهكذا باشر صاحبنا عمله بعد أن أعطي خارطة تضم أسماء من سيقلهم وعناوينهم، فسار الأمر على ما يرام إذ حفظ أسماءهم من اليوم الأول وتعرف عناوينهم "على الطاير" فقط كان متمكناً من عمله وملماً بطرق المدينة وحاراتها وبدا أنه يتحلى بروح مرحة وخلق حسن، فلم يكن يتذمر من تأخر بعضهم، بل كان يعدها فرصة لممارسة هوايته والخوض في الأحاديث التي اعتبرت "بادئ الأمر ثرثرة" ثم تقبلها الجميع لطرافتها ومعرفتهم بأن مصدرها محبة الآخرين وسلامة الطوية، فلك تكن لتخل بالعلاقات أو تنقص من احترامه للآخرين بل تعدت ذلك إلى أن جعلته جسراً للتواصل بين الموظفين الذين كاد يلجمهم التحفظ والوقار، فأخرجهم من دائرة الصمت المقيت والوجوم الممل، فأصبحوا يتبادلون مع بعضهم أطراف الأحاديث عن كل ما يثير الاهتمام حتى غدت "فترة الانتقال" أشبه بمنتدى أو نزهة محببة، وشاع ذلك بين عناصر المعمل فحسدهم عليه الآخرون.

لم يمضِ طويل وقت حتى فوجئ عناصر المعمل بأن المدير وأعضاء مجلس الإدارة يتعمدون اصطحابه عند قيامهم بالمهمات الخاصة مما زاده مرتبة وتقبلاً، لدى الجميع، وانعكس من قبله انطلاقاً ونشاطاً في العمل وتطلعاً نحو الأفضل والأجدى.

أحس شيبوب بأن "برجه" مقبول لدى إدارة المعمل ورآها فرصة مناسبة ليزداد تقرباً منها فيتخلص من عمله الرتيب الذي لم يعد يتناسب مع ألقه وطموحه، فما إن أتيحت له الفرصة حتى سأل مديره الجديد إمكانية التفرغ للعمل ضمن الإدارة في مجال العلاقات العامة واستعداده لكل ما يطلب منه من إحضار الضيوف من المطار وتأمينهم في الفنادق إلى ما هنالك من حاجات أو طلبات.. وهو ما اعتبره ترقية في العمل، وأجيب إلى طلبه بعد تردد، وشرح يتعلق بالسلوك والهندام وضرورة توفر بعض المبادئ باللغة الأجنبية على أن يكون ذلك قيد التجربة.

كنت أول من حمل إليه الخبر (وهو يكاد يطير من الفرح)- فأدهشني الأمر وساورني القلق بشأنه- لمعرفتي بما يتطلبه عمله الجديد من خبرة ومؤهلات ليست متوفرة لديه- ونصحته بأن يلزم عمله الحالي لأنه مريح ومقبول من الجميع ويخلو من المتاعب والمنغصات، وأننا سنخسر رفقته ومرحه، ولكني تمنيت له التوفيق والنجاح عندما رأيت إصراره وحماسه لهذه القفزة النوعية بنظره.

ما إن باشر شيبوب مهام عمله الجديد حتى أخذ يفقد "مرحه المعتاد" رويداً رويداً، وأصبح منظره "كاريكاتورياً" بسبب زيه الجديد "الرسمي" الذي قلل من رشاقته، وحذائه العتيد اللامع الذي قيد حركته "فصار يمشي كالبطة"، أما ربطة العنق فقد كانت تتأرجح حتى لتكاد تصافح ركبتيه أحياناً وأخرى لا تتعدى العنق إلا بمقدار غير مألوف.

وكانت أياماً قاسية على شيبوب فلم تتساهل الإدارة معه بالعمل، أدرك خلالها مرارة الحقيقة وأن خفة الروح لا تغني عن القيام بالواجب على أتم وجه بل يمكن أن تكون بعده، حتى إنه تراجع مالياً نتيجة سوء تصرفه في بعض النفقات التي رفض المحاسب صرفها لعدم وجود موافقة مسبقة من آمر الصرف، فاضطر شيبوب لدفعها من جيبه خوفاً من اتهامه بالتبذير وقلة التدبير، وهكذا غشيته الكآبة وركبه الغم وزاد الطين بلة أن رفاقه في العمل ظنوا ذلك منه ترفعاً واستعلاء بهذا المنصب، ولم يدركوا أن جهوده وإمكانيته قعدت به عن الوصول إلى درجة الانسجام مع عمله في الموقع الجديد والمختلف.

ورأى شيبوب أن يستدرك الأمر في الوقت المناسب ويستبق الأحداث، فدخل غرفة المدير قائلاً: أرجوكم أعيدوني سائقاً.

(باربي)

•فاديا عيسى قراجه

آخر صورة ارتسمت في ذاكرته، رسومات دقيقة على الجدار .. بصماته التي لوثت الكراسي والأرضية .. مئزر أمه الراحلة، أمه الوحيدة التي كانت تقف في وجه أبيه .. الوحيدة التي كانت تخبئ له الحلوى،الوحيدة التي كانت تجعل جسدها درعاً لضربات والده .

استقبله الشارع بضجيج الأقدام وسلاسل من الحفر السطحية ..قطط تمارس شهوات شباط ..

تفقّد جيوبه، فخرجت لعبة صغيرة بلون وردي جاف وخشن .. هو من وضعها تحت السرير .. هو من سرق كل الألعاب .. هو من يثير الفوضى ويزعج شهد ..

لم يكن الطريق سهلاً .. لم يكن قصيراً .. والليل !! ما أطوله ..

هل هي المصادفة التي قذفته أمام ذلك المكان ؟ ربما قدره أن يقف ويتعرف على أمجد ..

أمجد خبير بهذا النوع من البشر .. أعطاه ورقة نقدية من فئة الخمسمائة .. رماها في وجهه وبدأ اللعاب يسيل من فمه وهو يفهمه بالكاد أنه ليس شحاذا .. كانت التأتأة وحركات يديه، وزوغان عينيه تخفي مقاصده، رغم ذلك فهم عليه أمجد وأطنب بالاعتذار والانحناء أمامه ، أدخله إلى المحل .. تنشق رائحة الورد التي هجمت كالعاصفة إلى فتحتي منخاره الضخم ..

كان ينفّذ خدمات بسيطة لأمجد .. مثل تحضير القهوة صباحاً ومساءاً .. مسح الأرضية .. إغلاق المحل بعد انصراف أمجد ..

كل ذلك حصل في وقت قياسي، فهو أمين هكذا أفهم أمجد أصدقائه الذين تغامزوا فيما بينهم ..

في تلك الأمسية أغلق باب المحل وهو يحملها بين يديه .. لم يلفت انتباه أحد، فهو العامل الأمين، والكلب الوفي ..

وصل إلى غرفته وهو يلهث .. رماها من بين يديه بمتعة كبيرة وصراخ داخلي مكبوت لدرجة الانفجار .. فأحدث سقوطها فوق السرير وشيشاً كالوشيش الذي يحدثه الحشيش في أذنيه ..

انحسر ثوبها القصير فبرز فخذيها كشمس بلون الزهر المشتعل .. اقترب منها وخلّصها من ثوبها الصغير..بقي جزء صغير لا زال عالقاً على كتفيها، طوّح به فظهرت حمّالة الصدر، بنسيجها الناعم وتخريماتها المتشابكة البديعة.. فرك النسيج بأصابع غليظة، وأنفاس متلاحقة، يطير الرذاذ من فمه ، فيمسحه بظاهر كفه ..

مرر يديه فوق الفخذين الصلبين..... أهذا ما يسمونه جسد الأنثى !

كيف ينسى تلك الليالي حينما كان يزاحم بيديه وكتفيه كي يشق ثقباً بين أجساد أصدقائه الضخمة، ليشاهد الصور السحرية التي كان يحضرها مازن ويجبر أصدقائه على دفع ليرة مقابل كل صورة يريدون رؤيتها ..

بقيت قطعة صغيرة تغطي الجسد المشتهى .. تأملها كم كانت صغيرة .. كم كان نسيجها دافئاً ككفي أمه ..وتخريماتها أكثر اتساعاً..نزعها بأسنانه،فأصاب الجسد الوردي بالعطب ..

سقط فوقها وأجهش بالبكاء ، فبعد أن مزق ثيابها، انتظر انفجار الدماء، انتظر أن يسمع صراخاً يزيده هيجاناً ، انتظر أن تلفحه بلهاثها الساخن.. .. لكن بدل عن ذلك، خرج القطن الذي يحشو جسد باربي البهي، فظهرت بأقبح صورة ..

عادت إلى ذاكرته دمية شهد ..عاد ذلك اليوم الأسود يرفرف كرايات الشر التي يراها في أفلام الرعب .. يومها مزّق آخر دمى شقيقته ..وضربها بقسوة وهو يلوح بألعابها المدمّاة .. كم تمنى أن يمزق شهد بأسنانه،كم تمنى أن يقول لوالده: أكرهك وأكره بيتك،وأكره شهد..

كان صراخ أخته يملأ الحي ..وكان والده الحاضر الأول والشاهد على هذه الجريمة .. وكان قضيب الرمان يلتهم ظهره العاري ..

ماتت أمه،واستباح والده ظهره.....

لملم جسده المنهك .. استند على طاولة صغيرة من مخلفات محل أمجد، نظر في المرآة فبرز وجهه المتعب،و ظهر جسد باربي الممزق كخلفية أبدية لوجهه .

فخري البارودي
مؤسس المعهد الموسيقي الأول في دمشق

• معين حمد العماطوري

تُعدّ دمشق المدينة الأقدم في العالم ليس لأنها المدينة المأهولة بالسكان فحسب، إنما لأنها المصدر الأساسي للحضارة والإبداع العربي منذ القدم حتى وقتنا الحاضر، فقد قدمت للعالم العديد من المواهب الفنية والأدبية والإبداعية على الساحة الثقافية العربية، وإذ أكتب عن دمشق فأنني سأكتب ما قدمته من معاهد موسيقية، ليشهد التاريخ بأن ياسمينها المعطر برائحة الوطن ظل يعبق بنسائم زكية لتنتج في القرن الماضي أعلام الفن والموسيقا، رغم اشتداد ظلام المحتل الفرنسي الغاصب.

عاشت دمشق مثل كل المدن العربية تحت الاحتلال العثماني والانتداب الفرنسي إلى أن نضال الشعب السوري مع الاستعمار لم يشغل الوطنيين الأحرار عن الفن والإبداع، فقد عمل الموسيقيون إلى جانب فنهم وروحهم المرهفة ذات الإحساس العالي في الفن على رفع السلاح في وجه المحتل واستشهد الكثير منهم عام 1945 بيد الفرنسيين حين كانوا يقاتلون من أجل تراب الوطن والحرية والاستقلال، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر/ عازف الكلارنيت طارق مدحة/، الذي استشهد وهو يدافع عن رمز الأمة (المجلس النيابي) ، إلى أنني سأتحدث عن شخصية وطنية هامة في تاريخ سورية المعاصر، رغم عملها بحقل السياسة والنضال اهتمت في الجانب الموسيقي والفني ألا وهي الوطني الكبير فخري البارودي /1885-1965/ الذي شغل العالم بروحه الوطنية إذ كان يقيم العديد من الندوات الجميلة لأهل الأدب والفن في منزله الكائن بحي القنوات.

وفي أعقاب الثورة السورية الكبرى وتحديداً عام 1928 أسس فخري البارودي مع الموسيقي الشهير توفيق الصباغ / النادي الموسيقي السوري الشرقي/ الذي أغلقته السلطات الفرنسية بعد عامين من إحداثه لما كان له من تأثير عليهم، وبعد أن سمح الفرنسيون بإقامة الأندية كان سباقاً إلى دعم تلك الأندية اجتماعياً ومادياً ومعنوياً، فقد أقيمت العديد من الأندية الموسيقية منها: / النادي الموسيقي السوري عام 1928، والنادي الموسيقي الفني عام 1930 ، ونادي نهضة الموسيقا عام 1931، ونادي دار الألحان والتمثيل عام 1931، ثم معهد الآداب والفنون عام 1937 ، ومعهد أصدقاء الفنون عام 1939، ونادي الفارابي عام 1940 /

وعندما انتخب فخري البارودي نائباً عن دمشق عام 1943 نجح بنفوذه السياسي والاجتماعي وكسر حاجز التقليد لينتزع من المجلس النيابي بعد جلسة حامية من الصراع على الموافقة بتأسيس أول معهد رسمي للموسيقا يتبع لوزارة المعارف تحت اسم /المعهد الموسيقي/ وكان ذلك عام 1947، وأشرف عليه بنفسه وترأس مجلس إدارته لمدة عامين، ومن خلال الفنانين المبدعين أمثال: عمر البطش، ومجدي العقيلي، وسعيد فرحات، وعزيز غنام، تكريس المعهد لأحياء الأعمال التراثية كالموشحات والقدود وفن رقص السماح والأدوار، مما دفع الموسيقي سعيد فرحات بتلحين موشح من نظم فخري البارودي تقديراً له ولجهوده في رعاية الفن والموسيقا وجاء هذا الموشح على مقام العجم إذ يقول فيه:

وغزال كلما ألقاه يزوي مقلتيه
قاطباً عن غير قصد أو بعمد حاجبيه
وإذا سلمت ثارت حسرة في وجنتيه
لست أدري أي ذنب كان لي يوماً لديه
ما عليه لو حباني قبلة ماذا عليه
بين موتي وحياتي لفظة من شفتيه

وفي ذلك العصر برز أيضاً مبدعون حافظوا على التراث الموسيقي غير الغنائي منهم: شفيق شبيب ، توفيق الصباغ، عمر النقشبندي ، واستطاعوا أن يجسدوا قوالب تأليف الموسيقا العربية حين قاموا بإحياء البشارف واللونغا والسماعيات وغيرهم.

وفي عام 1949 أغلق المعهد بسبب الصراعات السياسية البرجوازية، إلا أن فخري البارودي لم يقف مكتوف الأيدي بل عمد في عام 1950 على فتح المعهد الموسيقي من جديد وعلى الرغم من مرضه الذي أتعبه وبجهد كبير أصدر المرسوم الجمهوري التنظيمي رقم /846/ تاريخ 1950/12/9 والذي نص على تأسيس المعهد الموسيقي الشرقي في دمشق، وبتاريخ 1950/12/30 أصدر وزير المعارف قراراً بتسمية / إحسان البزرة/ مديراً للمعهد، وهكذا تم تأسيس / المعهد الموسيقي الشرقي/ .

شكل مديره آنذاك لجنة لدراسة مناهج معهد الفنون الجميلة في بغداد ، ومناهج المعاهد المصرية برئاسة / يوسف بتروني/ وعضوية كلاً من : /عبد الغني شعبان ، محمد العقاد، يحيى السعودي، سعيد فرحات، شوقي أفزه، وثلاثة خبراء نمساويون من حملة الشهادات العليا في الموسيقا من أكاديمية فيينا للموسيقا.

ثم صدر قرار بتسمية الموسيقار الفلسطيني الراحل (يوسف بتروني) المدير الفني للمعهد لتنفيذ البرامج والمناهج، والموسيقي الفلسطيني الراحل(يحيى السعودي)مستشاراً فنياً ومدرساً لمادة العود ولعلوم الموسيقا الشرقية والموشحات، وخصص (فؤاد محفوظ، ومحمد النحاس) لتدريس آلة العود، والموسيقي المصري (محمد العقاد) لتدريس آلة القانون ويساعده الفنانان (تيسير كركوتلي والموسيقي اللبناني عبد الغني شعبان) ويقوم (حسن زركلي) بتدريس الصولفيج والسوري المرحوم (سعيد فرحات) بتدريس قواعد الموسيقا الشرقية والموشحات، و(فائز الاسطواني) تدريس الكمان بالأسلوب الشرقي، و(عبد الوهاب سيفي) تدريس فن رقص السماح، والتركي (شوقي أفزة) آلة الناي، و(فيلكس خوري) آلتي الكمان الجهير (فيولونسيل) والكمان الأجهر كونترباص، و(نسيب الاختيار) يدرس تاريخ الأدب الموسيقي في الوطن العربي، أما الخبراء النمساويون فقد خصصوا لتدريس البيانو وآلتي الكمان الجهير والكمان بالأسلوب الغربي.

> استطاع المعهد أن يجعل من خريجيه نجوماً في الموسيقا واستلموا دفة الحياة الموسيقية حتى وفاة بعضهم والباقي ما زال يرفد الحركة الموسيقية بأعماله.

> دمشق بأبنائها ورجالها يشهد التاريخ لها بما قدمته من دماء وطنية ضد الاحتلال العثماني والفرنسي وبمواقفها الوطنية.

قام المعهد بوضع نظام داخلي خاص به يتضمن مجموعة من البنود التي توجب عمل والالتزام بها منها:

تحديد دراسة المعهد لأربع سنوات يتلقى بها الطالب دروساً نظرية وعملية.

اعتبار نظريات الموسيقا الشرقية وقواعدها الأساس في الدراسة.

اعتماد تدريس الموسيقا الشرقية على مفتاح (صولsoL) والدراسة النظرية والعملية إلزامية لجميع الطلاب.

فرض تعليم فن رقص السماح على جميع الطلاب دون استثناء، وأن يتم ذلك من خلال الإيقاعات الشرقية الفنية التي تدرس سنة بعد سنة.

افتتح المعهد أبوابه في الخامس عشر من آذار عام 1951، وانتسب إليه في العام الأول /120/ طالباً وارتفع إلى /300/ طالب في العام الذي يليه 1952، شريطة أن يتقاضى الطالب المتفوق راتباً شهرياً بما لا يزيد عن /100/ ليرة سورية وكان من بين المتفوقين والذين أصبحوا من أعلام الموسيقا في دمشق بل يمكن القول في سورية منهم / عازف الناي الشهير عبد السلام سفر، وعازف القانون عدنان إيلوش، وعازف الأوبو البارع مطيع المصري، وثلاثة برعوا في فن رقص السماح وهم/ عدنان وزهير منيني و عمر العقاد/.

استمر المعهد في نشاطه وإنتاجه حوالي ثماني سنوات وتعاقب عليه أربع مديرين حيث كان من أبرزهم / إحسان البزرة / الذي استقال في الثلاثين من كانون الأول عام 1953 ليتولى بعده المربي الأستاذ / عز الدين العطار/ ، ليعود إليه / إحسان البزرة/ من جديد حتى عام 1955 تقريباً ، حيث كلف بإدارة المعهد الأستاذ (محمد كامل القدسي) وهو المتمرس

بالموسيقا الشرقية والغربية لغاية عام 1957 ليتولى الأستاذ (مجدي العقيلي) إداراته حتى إغلاقه عام 1959.

وللعلم لقد استطاع المعهد أن يجعل من خريجيه نجوماً في الموسيقا واستلموا دفة الحياة الموسيقية حتى وفاة بعضهم والباقي أدام الله في عمره ما زال يقدم ويساهم في رفد الحركة الموسيقية بأعماله الفنية منهم على سبيل المثال:

/ أمين الخياط، عدنان أيلوش، عدنان أبو الشامات، عدنان منيني، نمر كركي، سليم سروة، صبحي جارور، هشام حموي، إبراهيم جودت ونزار موره لي ، والفنان الكبير صباح فخري الذي تكنى بمؤسس المعهد فخري البارودي/.

وبعد أن ألحق المعهد بوزارة الثقافة والإرشاد القومي أطلق عليه اسم /المعهد العربي للموسيقى/ وابتدأ التدريس فيه عام 1961 بإدارة الموسيقار الراحل صلحي الوادي الذي يمكن القول أنه استطاع أن يثبت دعائم الموسيقا في سورية من خلال عطاءه وعلمه، ليصل به المطاف إلى تأسيس المعهد العالي للموسيقا بموجب مرسوم جمهوري، ويبدأ بتخريج العديد من المواهب الفنية للعالم، ويحصل على جوائز عالمية كالمطربة الأوبرالية والتي كانت طالبة في سنة الرابعة في المعهد عندما رشحت إلى مهرجان بلغراد وحازت على الجائزة الرابعة على العالم بالغناء الأوبرالي، ليقدم بعدها طلاب المعهد العديد من الحفلات داخل دمشق وخارج سورية في البلدان العربية والأجنبية وصلحي الوادي، قد استلم راية التأسيس للمعهد الموسيقا من الموسيقار مجدي العقيلي بعد أن أسسه الوطني الكبير فخري البارودي.

أخيراً إن دمشق بأبنائها ورجالها يشهد التاريخ لها بما قدمته من دماء وطنية ضد الاحتلال العثماني والفرنسي وبمواقفها الوطنية ضد أشكال الاستعمار الحديث المتمثل بأمريكا وربيبتها إسرائيل، وما زالت تضحي من أجل موقفها الوطني الثابت في وجه المخططات الإمبريالية الصهيونية، فهي عاصمة الثقافة، وعاصمة الموقف، وعاصمة التاريخ، وعاصمة المقاومة، وعاصمة الصمود، وعاصمة الانتصار.

ألكسندر كوبرين (١٨٧٠-١٩٣٨)

•د. ممدوح أبوالوي

ولد في مدينة بنزا الواقعة في الجنوب الغربي من موسكو.والده موظف توفي عام 1871 ،وانتقلت أمه إلى موسكو بعد وفاة زوجها، وأمه من أصل تتري،وكان عمر ألكسندر أقل من سنتين عند وفاة والده، وأمضى ألكسندر من طفولته أربع سنوات ما بين عامي 1876-1880 في مدرسة اليتامى ، وبعد ذلك انتسب إلى المدرسة العسكرية وحصل على رتبة ضابط عام 1890واستقال منها عام 1894.وقام بأعمال كثيرة فعمل حمالاً وممثلاً ومعلّماً وصحفياً وعاملاً في أحد المصانع وعمل في السيرك.واستقر به الأمرأخيراً في مدينة كييف وأخذ ينشر في صحفها، فنشر القصص والمقالات الاجتماعية. وانتقل إلى العاصمة بطرسبرج عام 1901 فالتقى بكبار الكتاب الروس مثل ليف تولستوي (1828-1910)، وايفان بونين(1870-1953)، ومكسيم غوركي(1868-1936)وغيرهم . وكتب قصة "أوليسيا"(1898)وهي قصة حبٍّ، تتحدث عن شاب اسمه إيفان يمارس هواية الصيد ويلتقي امرأةً متقدمةً في السن وهي أقرب ما تكون إلى الشيطانة، وطلب إيفان من العجوز أنْ تنجّم له، ويلتقي فتاةً اسمها أوليسيا في ريعان شبابها. وأراد الروائي في هذه القصة أنْ يصوّر الحياة في أحضان الطبيعة النقية من فساد المدنية المعاصرة. وقصة "البداية الأخيرة"(1889)،وقصة "المستنقع" عام 1902، وقصة " سارقو الخيل "(1903)، وقصة " المبارزة" عام 1905، وهي عن حياة الضباط، وحصل بفضلها على الشهرة، وهي من الأعمال التي كتبها كوبرين متأثراً بالحرب اليابانية الروسية ، وبثورة عام 1905.

قصة "سوار العقيق"(1911) تتحدث القصة عن الأميرة فيرا التي تحبُّ زوجها وتخشى إفلاسه . ويرسل أحد الأشخاص للأميرة بمناسبة عيد شفيعها سوار ذهب مرصعا بالعقيق غالي الثمن ، ويرسل مع السوار رسالةً من دون أنْ يذكر المرسل اسمه بصراحة ، وإنَّما يكتفي بذكر الأحرف الأولى من اسمه واسم والده وكنيته .ويرجو المرسل قبول هديته. وهي غالية على نفسه ، لأنَّه ورثها من جدته. ويعرف زوج الأميرة الشخص الذي أرسل الهدية ،وهو موظف متواضع في إحدى دوائر الدولة، واسمه جوليكوف، ويحاول الزوج إعادة السوار. ويقع جوليكوف في ورطة إذ ينفق أموال الدولة ويعجز عن تسديد المبالغ التي أخذها من خزينة الدولة، ولذلك يقدم على الانتحار ،وكان جوليكوف يحبُّ الأميرة فيرا قبل زواجها، وعبّر عن حبّه في رسائله إليها. وتشارك الأميرة فيرا في العزاء. تجري أحداث القصة في منتجع على شاطىء البحر، وهي قصة حبٍّ مأساوي وطاهر ونادر الحدوث. ومن الشخصيات الثانوية في القصة أخو الأميرة وأختها اللذان يحضران الاحتفال. انتقد بعض النقاد حبَّ جوليكوف العفيف والنقي . ترجمها الدكتور أبو بكر يوسف من اللغة الروسية إلى اللغة العربية ، وصدرت الطبعة الثانيةعام 1985 بموسكو عن دار "رادوغا".وأُخرجت على شكل فيلم سينمائي عام 1964، ولا بأس من الإشارة إلى أنَّ كوبرينَ صوّر في هذه الرواية سوار زوجته الأولى، وهذا السوار محفوظ الآن في متحف بوشكين للأدب في مدينة بطرسبرج.

رواية "الحفرة"(1915): يهدي المؤلف روايته للأمهات وللشبيبة ويشير الكاتب إلى أنَّ الكثير يرون في الرواية دعوةً للإباحة والانحلال .كتبها كوبرين خلال ست سنوات من عام 1908-1914 تتحدّث الرواية عن موضوع الدعارة، وعن حياة النساء الساقطات في بيت الدعارة .حياتهن عبارة عن سلسلة من الآلام والإهانات والأمراض المتعددة. ولكلٍّ واحدة منهن قصة. يتحدّث أحد الصحفيين واسمه بلاتونوف عن بيت الدعارة ، ويرى أنَّ هذه الظاهرة أصبحت عالمية، ولا يمكن وضع حدٍّ لها. ويرى أحد الأشخاص، واسمه ليخانين، ضرورة تخليص المجتمع الإنساني من هذه الظاهرة المهينة واللاإنسانية ويقترح أخذ إحدى العاهرات من بيت الدعارة إلى بيته لإعادة تربيتها، وبالفعل خلّص فتاةً ، وعلّمها التاريخ والجغرافيا والرياضيات ورافقها إلى المسارح والمعارض وأنفق في سبيل ذلك مبلغاً من المال ، ولكن من دون جدوى،إذ عادت إلى البيت الذي أخرجها منه.

وتصاب إحداهن بأحد الأمراض الجنسية وتنقل العدوى إلى عشرات الرجال، وتتذكر هذه المرأة ، واسمها جينكا، أنَّ أمَّها باعتها لأحد الرجال عندما بلغت العاشرة من عمرها. وتنتهي حياة هذه المرأة بالانتحار.

أُتهم كوبرين بعد صدور هذه الرواية بالترويج للإباحية . وقام عدنان جاموس بترجمة "الحفرة" للروائي الروسي ألكسندر كوبرين ، التي صدرت باللغة الروسية عام 1915، ويصوّر فيها الروائي آفة البغاء. وصدرت الرواية عن وزارة الثقافة في دمشق عام 1999، ويكتب المترجم نبذة عن حياة المؤلف.

كتب عن موضوع البغاء الشاعر بوشكين(1799-1837)، كما تطرق إليه في أكثر من رواية دوستويفسكي (1821-1881)، فتحدّث عن هذا الموضوع في كتابه "في قبوي"(1864)، وكذلك في روايته الشهيرة "الجريمة والعقاب"(1866) في شخصية سونيا مارميلادوف التي جعل منها دوستويفسكي قريبةً من القداسة، وكتب عن الموضوع ذاته تولستوي (1828-1910) في رواية "البعث" (1899)في شخصية كاتيا.

سافر كوبرين إلى إيطاليا وفرنسا عام 1912، وشارك في الحرب العالمية الأولى عاماً واحداً وأُعفي من الخدمة عام 1915 لأسباب صحية ، وعندما قامت ثورة شباط عام1917في روسيا بقيادةً كيرينسكي استقبلها كوبرين بفرح عظيم، وتردد في قبول ثورة أكتوبر عام 1917 بقيادة لينيَن(-1870 1924)، ومع ذلك تعاون مع مكسيم غوركي الذي كان رئيساً لدار نشر "الأدب العالمي"،

> كتب عمله الأخير بعنوان "موسكو قريبتي"، وشعر بالندم لفراقه الطويل لروسيا.

> شارك في الحرب العالمية الأولى عاماً واحداً وأُعفي من الخدمة عام ١٩١٥ لأسباب صحية.

واقترح على لينين إصدار مجلة بعنوان "الأرض" تعالج أوضاع الفلاحين. وانتقل عام 1920 إلى إستونيا وفنلندا ، وانتقل في العام ذاته إلى فرنسا حيث بقي إلى عام 1937، وبدأ يشعر في السنوات السبع الأخيرة في فرنسا بالفقر، فكانت المكافآت عن كتبه زهيدة، وضعف بصره ،وكان مدمناً على تعاطي المشروبات الكحولية، ولذلك قرر العودة إلى وطنه. وعاد إلى لينينغراد "بطرسبرج" بعد أنْ قدّم طلب الموافقة على عودته إلى القيادة السوفييتية بقيادة ستالين(1879-1953)، فوافقت القيادة بالأكثرية، وكان ستالين أحد الذين وافقوا، واعترض أحد أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي على عودته، عاد كوبرين إلى موسكو في العام الذي نفذ فيه ستالين حكم الإعدام بعدد من المثقفين ، منهم بوريس بلنياك(1894-1937) الذي كان رئيساً لاتحاد كتاب روسيا آنذاك ،وكتب كوبرين عمله الأخير بعنوان "موسكو قريبتي"، وشعر بالندم لفراقه الطويل لروسيا.وكتب للأطفال مثل قصة "الزرازير" و "الكلب الأبيض"(1903)، وقصة"الفيل"(1907)وتتحدث عن طفلة مريضة ، ولا يعرف الأطباء سبب مرضها ،وينصحون والدها بتلبية رغباتها ، فتطلب الابنة أنها تريد فيلاً، فيحضر الوالد لعبةً على شكل فيل. وتطلب الابنة فيلاً حياً ، ويحضر الوالد لابنته فيلاً حياً، وتشفى الطفلة.،وكتب قصة "الذئب الفضي "(1901)، كما كتب " البساط السحري" (1919) وكتب قصة "الديك الذهبي"(1923)في أثناء إقامته في باريس، ويتحّدث فيها عن صياح الديك عند طلوع الفجر ، وكأنَّه يصلي للنور للشمس التي تهب الحياة للأرض.

أسرته: تزوج للمرة الأولى عام 1902 وافترق عن زوجته الأولى عام 1907، وكتبت فيما بعد عن زوجها، وأنجب من زواجه الأول ابنةً اسمها ليديا. وتزوج للمرة الثانية عام 1909،وأنجب من زوجته الثانية ابنتين ،وانتحرت زوجته الثانية في أثناء الحرب العالمية الثانية في لينينغراد في أثناء حصارها ، ولا يوجد الآن من ذريته أحد، وتركت إحدى بناته عن أبيها كتاباً بعنوان "كوبرين أبي".

ومات في بطرسبرج ومدفنه إلى جانب مدفن الروائي الروسي إيفان تورغينيف (1818-1883)، ولم تقصّر الحكومة الروسية في تخليده فسمّت الكثير من الشوارع وأمكنة أخرى باسمه.

الطفل الشهيد

• ريما خضر

عَادَ الذّئْبُ يَا جَدّتي
وَأنَا.. في طَريقي إلى الطّفُولَة ..
لَمْ أسْمَعْ نُصحَكِ يا جدّتي فأضعْتُ في الليلِ
تُفّاحةَ القلبِ
قدْ كانَ ذنبي أنّني ليلى
وظننتُ أنّ الذئبَ قيسٌ
ولكنّني..
وجدتُ على الرّصيفِ
وطني..
ورأيتُ حرّاسَ الفجرِ
يفقؤون عيونَ الذئبِ
ورأيتُ البحرَ يسبحُ في السّماءِ
ورأيتُ نُجوماً كثيرةً
على عدد الشّهداء ، مضيئةً
فابتسمتُ ولم أخفْ
عندما تكاثرتْ من حوليَ الذئابُ ..
يا جدّتي..!
رُدّيني إلى الماضي
إلى جوارِ سريرِكِ
حيثُ تضعينَ في الكأسِ
طقمَ أسنانِكِ المستعارةِ
وفي الخارجِ ..
تقفُ كلُّ أنيابِ العالمِ ..!

خارج نطاقِ الخدمة

• رانيا حمدوني

منذ خمسةَ عشر عاماً امتلأتْ رئتاي للمرةِ الأولى بالهواء.

حملَتني بينَ يديكِ و قبّلت رأسي ثم قدّمتني لوالدتي على سريرها وقلت مُبَشرةً :

ولدٌ .. ولدٌ يا أختي .. يا إلهي ما أحلاه!

لكنَّ أمي كما أخبرتني لاحقاً، وقبلَ أن تنظُرَ إلى وجهيَ المُزهر في سكون، نظرتْ إلى فرحِ عينيكِ، وإلى أمومةٍ وُلدَتْ بين أحضانك عندما ضممتِ لحميَ الطريِّ إلى صدركِ المليءِ بالغبطةِ وقالت:

خذيه يا أختي .. اتخذيه ولداً..

ارتبكت قليلاً ثم قلت بسعادة:

حفظكم الله لرعايته مع إخوته، لكنني إذا سمحتمْ سأختارُ له الاسم.

ووهبتني اسمَ " وسيم "، ووهبتني حبّاً وحناناً وأشياءَ أخرى لا تُعبّرُ عنها الكلماتُ.

لبثتُ في رحمِ أمي تسعةَ شهورٍ، لكنني لبثتُ في آمالكِ وأحلامكِ ونظراتكِ و ما بين أحضانك أكثرَ من تلكَ الشهورِ التسع.

هل كلُّ الخالاتِ نحلاتٌ يقُمنَ برعايةِ أولادِ غيرهن؟

هل كلُّ الخالاتِ نحلاتٌ يصنعنَ العسل؟

ها هو بيتُنا اليومَ يضجُّ كخليةِ النحل، فأمي وأخَواتي يصنعنَ الحلوياتِ في المطبخِ بمناسبةِ ذكرى ميلادي، وأُخوتي يعلّقونَ الزينةَ وكلُّنا بانتظارِ الخالةِ لتنثُرَ رحيقَ حبِّها الذهبيِّ على وجناتِ زارَها الفرحُ رَغمَ حربٍ حاولت فرضَ الخوفِ والحزنِ على وجودنا.

لكنكِ لم تأتِ .

أذكرُ ذلكَ اليومَ الذي كنت تتحدثينَ فيه مع والدتي بصوتٍ هامسٍ حتى لا أسمعَ، ثم كشفت عن ذراعكِ وفخذيكِ لتُريها الكدمات المطبوعةَ على جسدكِ النحيل، ثم بكيت وضمّتكِ أمي برفقٍ وهي تحثُّكِ على الذهابِ للشُرطة لتقديم شكوى بحقِّ زوجكِ الظالم، لكنكِ رفضت.

اختلقت له الأعذار والمبررات ثم جففت دموعَكِ وانصرفتِ قبلَ أن تلحَّ والدتي بطلبها وتؤثّرَ على رأيك.

لا يقوَى قلبُكِ على أذيةِ أحد، فاخترت الطلاقَ لتهربي من عنفه وجبروته، لكنَّه عنفٌ آخرُ مارَسه ذلكَ الزوجُ على روحكِ وعاطفتكِ عندما تركك " معلقة " كما يصف هو، ثم تزوج من أخرى لتُنجبَ له الأطفال.

" اشتقنا للفرح " ضمني والدي ثم قدّم لي هديتي التي وعدني بها، جهاز موبايل حديثاً، فأسرعتُ إلى موبايل والدتي أنسخُ منه رقمكِ لأتصل بكِ وأسمعَ ضحكتَكِ العاليةَ، فجأةً خُلقَ ذلكَ الصوتُ المدوّيُ في آذاننا ليجعلَنا في اضطرابٍ وحيرة.

شغلتنا الظنونُ وأسرعْنا إلى الشرفة والنوافذ نحاولُ فهمَ الكارثة، وعدتُ إلى جهاز الموبايل أطلبُ رقمكِ لكنَّ الرقم المطلوب قد يكون مقفلاً أو خارجَ نطاقِ الخدمة.

لمْ تملَّ أناملي، وأملي ورجائي ما انقطعا أبداً وأبداً لمْ ييأسْ ذلك الذي كانَ يقولُ

" الرقمُ المطلوبُ قد يكونُ مقفلاً أو خارجَ نطاقِ الخدمةِ " .

أغرب من الغرابة

• محمد علي ديب

هي طلقةٌ وجهّها إرهابيّ فأصابت جندياً، مما اضطره إلى التوقف عن قتال العدو، وضع بندقيته وهي رفيقته الأثيرة إلى جانبه، ونظر إلى دمه يتدفق بغزارة يسقي تراب وطنه، حاول أن يلف جرحه ليوقف الألم والنزيف، لكن آثار الطلقة كانت بليغة، رآه رفاق السلاح فاندفعوا لإسعافه، ناداهم: أرجوكم أسرعوا بلفّ الجرح كي أكمل مهمتي القتالية.

أمضى الرفاق وقتاً لإقناعه بأن جرحه عميق، ويجب إسعافه إلى المستشفى.

وتساءل: كيف لي أن أترك موقعي القتالي؟ أجابه الرفاق: لا تحمل هماً، فنحن هنا صامدون، ثم وافق على مضض آملا بالعودة السريعة إلى موقعه.

وفي المستشفى قوبل الجندي الجريح بكل المحبة والتعاطف، واستنفر الأطباء والممرضون، وهم يفخرون به وبأمثاله الأبطال، واستراح الجريح في غرفته قليلاً كي يجهزوا غرفة العمليات..

وقبل أن يستفيق من التخدير كانت روحه تحلق في ميدان القتال، وتشاهد كل شيء، فتتوق للمساهمة في مساعدة الرفاق ودحر الإرهابيين .

عندما استعاد وعيه هنأه الطبيب الجرّاح والممرضون على سلامته، شكرهم على اهتمامهم وعنايتهم، لكن الطبيب فاجأه بكلامه، إذ قال له: نحن مقصّرون مهما فعلنا من أجلكم أيها الأبطال، أنتم الساهرون على حماية الوطن، وتأمين الأمن والأمان لهذا الشعب الأبيّ، ثم أخرج من جيبه الرصاصة الغادرة ، وقال :هذه هي التي كانت مستقرة في جسدك، انتزعتها ولم أشأ أن ألقيها في الحاوية قبل أن تراها، أمسكها الجريح، تأملها، ثم رجاه أن يبقيها إلى جانبه كي يحتفظ بها، لتذكّره بتلك اللحظات التي عاشها قبل الإصابة وأثناءها وبعدها.

وضع الطلقة على الطاولة المجاورة له، فباتت ترى وتسمع، فوجئت برجاء الجندي من الأطباء الإسراع في علاجه، لأنه يتمنى العودة سريعاً لإكمال مهمته، فأصبح البطل ملء عينيها، وقارنت بينه وبين الإرهابيين الذين كانت معهم، وقالت في سرها: شتان مابين جبناء الجحور وشجعان الصقور، ومابين التكفيريين الجبناء والمؤمنين الشجعان، وما بين مَن يخرب الوطن ويقتل الأبرياء ومَن يحمي وطنه وأهله، ومابين مَن ينشر ثقافة القتل والإلغاء ومَن يسعى للشهادة من أجل أبناء شعبه،ويبقى مستنفراً يعيش لحظات الكرّ والفرّ بعيداً عن أهله وعائلته،ولا تغمض عيناه من أجل حماية ثرى بلاده،وتأمين الأمان لأهل وطنه.

أصغت تلك الطلقة لبطولات الجريح على لسان زملائه،وشاهدت تكريم قائده له،ورأت بأم عينها طاقات الورود التي تزين غرفته ،فأحست بأصداء البطولة تملأ الفضاء ،وتأججت نبضات الشموخ عندما دخل أهل البطل غرفة جريحهم، فاستقبلهم الموجودون وقوفاً واحتراماً،ورقصت القلوب فخراً وابتهاجاً، وعلا الأريج منتشياً مزهواً، واهتزت الورود على وقع خطاهم مرحبة،وحامت العصافير على النافذة تهفوإلى الدخول ،حتى تعيش تلك اللحظات العبقة بالعنفوان والكبرياء.

قال البطل الجريح:سأُبقي هذه الطلقة معي بعد أن أغادر المستشفى لأتابع مهمتي .

هاهي الطلقة الآن تتثنّى نشوى ، تتلوّى طرباً، وكادت تطير فرحاً بعد أن سمعت كلامه،لقد تقبّل عذرها أخيراً،ألا يعني هذا أنه غفر لها ذنبها؟! وإلا أما كان الأولى أن يدوسها بقدميه ،ثم يرميها في حاوية القمامة حيث مكانها الذي تستحقه؟!

فرحتها لم تعد تحضنها وساعة المكان ،فطفقت كفّاها تصفقان،وشفتاها تلهجان بالدعاء له بالشفاء العاجل والحماية الدائمة والنصر القريب.

لقد نجت من قسوة العذاب وتأنيب الضمير.

ثم أقسمت أنها ستحفظ عهد الود والصفح والغفران،وتسبح في سماء التوبة إلى الأبد.

قنوات / كاناثا (Kanatha) موقع وتاريخ وحضارة

• د . خليل المقداد

قنوات مدينة من أجمل مدن التاريخ في بلاد الشام ومنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ؛ بل ومن أجمل مدن العالم التاريخية . يحتضنها جبل العرب بحضن رطب دافئ ومخضر بارتفاع يتدرج بين 1200 إلى 1900م فوق سطح البحر . وتشرف غرباً على سهل حوران كشرشف قصب مطرز بنيسان . إنها كشيخ جليل مكلل بالغار والرياحين ، يفوح من سهولها عبق الأوراد والزهور من كل عطر وصنف ولون ، إنها عروس حوران يوم زفافها .

إنها حقاً مزهرية تتنضد فوق منضدة تتوسط حوران سهلاً وجبلاً . ويزيد في غناها تاريخها الحافل بتنوع الحضارات والآثار والأوابد التاريخية متنوعة الأنماط من أبنية دينية وطرز معمارية فنية وثقافية وترفيهية ورياضة غنية بجمالها المعماري وزركشتها النحتية ونمنماتها الدقيقة والنابعة عن الدقة في العمل الفائق والمتناهي في الكمال ، والمعبرة عن الذوق الرفيع في فن النحت وجماليات التصميم المعماري .

واندرج كل ذلك ضمن نسيج معماري متكامل ومتنوع في الأساليب الهندسية المستوحاة من مناهج المدارس المعمارية عبر التاريخ ، لذلك ظهرت بأجمل حلية معبرة عن الأبنية الدينية من معابد وكنائس ومساجد ، أو أبنية ترفيهية من مسارح دائرية (أنفتياتر) ونصف دائرية (تياتر) وقاعات طرب (أوديون) وميادين فروسية ، وكذلك الحمامات والأبنية الإدارية والمساكن الخاصة والعامة ، والأبنية التحصينية من أسوار وأبراج وأبواب للمدينة وغيرها الكثير الكثير.

وكل ذلك ضمن نسيج معماري متكامل تتخلله الشوارع المعمدة والأروقة المسقوفة والمبلطة بالبلاط البازلتي أو الأنواع المختلفة من الرخام والفسيفساء المتنوع في البواعث الهندسية والنباتية والميثولوجية كما هي حال أبنية المدينة ، ناهيك عن الينابيع ذات المياه الصافية والعذبة والقنوات المتفرعة لتغذي أحياء المدينة ، والوادي الوديع الذي يخترق المدينة تحف به الأبنية الجميلة من كلا الطرفين .

ومن أجمل الأبنية التي تحيط بالوادي مبنى المسرح ومعبد آلهة الينبوع الذي ترتاده الصبايا الحسناوات كحوريات الجنة بقاماتهن اليافعة وألبستهن الشفافة والجذابة وهن يتراقصن في المسير كالغزلان ويحملن على أكتافهن جرار المياه الصافية والعذبة ، ويزيد في جمال المدينة غابة بازان الغنية بالأشجار المخضرة على مدار العام وخاصةً أشجار الصنوبريات والأشجار المثمرة .

ويمكن الوصول إلى المدينة من جميع الجهات ، فالقادم من مدينة دمشق شمالاً وبعد اجتياز حوالي 70 كم والوصول إلى قرية عتيل ينعطف شرقاً ويصل المدينة بعد قطع مسافة 6 كم . كما يمكن الوصول إليها من السويداء جنوباً بعد قطع مسافة 7 كم ، ويجتاز في مسيره غابة مخضرة تمتع أنظار القادمين . ومن جهة الشرق عن طريق قرية المشنف – مفعلة أو من جهة الجنوب الشرقي عن طريق سالة - سيع .

موقع المدينة والمؤهلات الطبيعية والمناخية أغرت ساكني المنطقة بالاهتمام بالموقع وتأسيس مدينة أصبحت من أهم المدن الأثرية والتاريخية والحضارية . كما أن التباين الطبوغرافي للموقع أكسب المدينة وفرة جيدة في مصادر المياه وعلى مدار العام وخاصةً تعدد القنوات ، ولهذا السبب سميت بهذا التسمية .

وبالطبع كان ذلك من أهم الإرهاصات لوجود الإنسان في الموقع منذ عصور ما قبل التاريخ أسوةً بالمدن المجاورة في الحوض البازلتي في جنوب سورية والتي لعبت الدور الاستراتيجي الهام في مسار الحضارة في بلاد الشام كما هي الحال في مدن الحوض الكلسي شمالاً . وأصبحت مدينة قنوات في مصاف المدن الكبرى في جنوب سورية مثل مدن بصرى – السويداء – شهبا – أزرع – أم الزيتون – الصنمين – نوى – درعا – صلخد .. إلخ .

اغتنت المدينة بالعديد من الأبنية الأثرية التي شهدت على أهمية المدينة عبر التاريخ ، كما تباينت المباني التاريخية بتنوع وظائفها التي كانت تخصص لها ، ومنها ما بقي محافظاً على وظيفته السابقة ، ومنها ما تحول إلى وظائف أخرى وحسب المرحلة التاريخية ، ومن أهم هذه المنظومات التي أبدع بها ساكنو المدينة قنوات المدينة التي ما زالت ماثلة وتقوم بدورها حتى أيامنا الحالية .

وتتميز هذه القنوات التي سميت المدينة باسمها بتنظيمها الجيد والدقيق ، حيث يتم توزيعها على أحياء المدينة كافة لملء البرك والخزانات المكشوفة والمسقوفة وعلى رأسها برك المعابد المقدسة ومن أجملها بركة معبد حوريات المياه ومعبد كبير الآلهة زيوس/ جوبيتير ومعبد إله الشمس(هيليوس) . وتميزت هذه البرك بأحجامها الكبيرة والمتسعة حيث بلغ اتساع بركة معبد زيوس 2000م3 من المياه .

ثم هناك الخزانات المسقوفة بعقود حجرية لحفظ المياه على كامل أيام السنة حيث تواجدت مثل هذه الخزانات في معظم الأبنية العامة والخاصة والأبنية الدينية ومنها خزان الكنيسة المركزية الذي بلغ عدد عقوده المقنطرة 18 قنطرة مبنية بشكل مستقيم نظمت بستة صفوف متساوية الأبعاد وترتفع فوق ركائز وقواعد متينة .

ثم هناك الآبار الجوفية ذات الأشكال الأسطوانية التي حفرها سكان المدينة بأعماق مختلفة وحسب الحاجة ، وقد تميزت هذه الخزانات بإكساءاتها الداخلية لحفظ المياه من التسرب ومن الأنظمة التي نفذت لهذا الغرض تصفيحها بالحجارة التي تُصَفّ بشكل دقيق ثم تُطلى بطبقة كلسية ما زالت موجودة حتى أيامنا الحاضرة .

ثم نجد معابد المدينة المتعددة والموزعة في أحيائها كافة ، ومن هذه المعابد معبد حوريات المياه (النمفة) الذي صمم بشكل هندسي يتوافق مع المنهج الذي اتبع في جميع مدن المنطقة ، حيث يبنى المكان بشكل طابقي مرتفع ويزينه من الداخل بهو مقوس تحتضنه المحاريب والكُوّات المنظمة والموزعة بثلاث طبقات ومداخل تقود إلى الأقسام العلوية ذات الشرفات الجميلة .

أما الجدران الجانبية فيتم تزيينها أيضاً بنفس منهج الصدر من المحاريب ، ويضاف إليها بروزات على شكل قناصل لحمل قناديل الإضاءة أو التماثيل المختلفة . ويتقدم حرم المعبد حوض الماء المقدس على شكل بركة مكشوفة . وقد بلغت مقاييس بركة المعبد في قنوات 11×10×7م ، أي بمعدل حوالي 800 م3 من المياه .

أما بالنسبة إلى معابد المدينة الأخرى ، فقد اغتنت المدينة بالعديد من المعابد الوثنية ومنها معبد كبير الآلهة (زيوس/ جوبيتير) ومعبد آلهة الشمس (هيليوس) الذي جاء بناؤه على الطراز الكلاسيكي تتوسطه من الداخل صالة كبرى وفخمة يتقدمها رواق معمَّد بأعمدة بلغ عددها ثمانية أعمدة ، ومن الخلف رواق معمد أيضاً بأعمدة بلغ عددها ستة أعمدة ، وكذلك الأطراف بحيث بلغ عدد أعمدة كل رواق تسعة أعمدة . وبذلك يكون مجموع الأعمدة الخارجية 32 عموداً .

أما بالنسبة إلى المسارح فقد بني في المدينة مسرح دائري (أنفتياتر) ومسرح نصف دائري (تياتر) وقاعة طرب (أوديون) ، فالمسرح الدائري لم يعرف منه إلا المكان ، أما المسرح فلم يعرف حتى الآن . ويبقى إذاً المسرح الصغير / قاعة الطرب التي بقي منها قسم لا بأس به من عناصرها .

وخصص بناء هذه القاعة لأغراض متعددة منها الاحتفالات والاجتماعات والعروض المسرحية الصغيرة بالإضافة إلى عروض الرقص والغناء ... إلخ . وجاء القسم السفلي من المبنى مستنداً إلى تلة تشرف على الوادي بينما ارتكزت قاعدة المسرح والأدراج السفلية على الصخر الطبيعي بعد أن تم نحتها بشكل يتناسب مع المقاييس . كما بني فاصل صغير بارتفاع 60 سم ليفصل المدرجات السفلية عن ساحة الأوركسترا . أما القسم السفلي من مقاعد المتفرجين بقسمه العلوي فقد استند إلى الهضبة والقسم العلوي من المقاعد فبنيت على أروقة كما هو المنهج المتبع في مسرح بصرى وشهبا ومسارح المنطقة الأخرى .

ومن المباني الفاخرة التي تعتبر رمزاً لازدهار المدينة مبنى الكنيسة والذي يعرف اليوم بمبنى السرايا . وهذا البناء بمجموعه المتكامل حالياً عبارة عن مبنى مركب من العديد من المباني الدينية التي يعود كل واحد منها إلى مرحلة تاريخية ويعبر عنها ، يضاف لذلك مبنى البازيليك ومبنى السرايا .

وبالطبع فيعود تاريخ هذه الأبنية إلى العهود الآرامية والنبطية والهللينستية والرومانية والبيزنطية ومن ثم العهود الإسلامية . وجميعها بالطبع عهود عربية معبرة عن الحضارة السورية وحضارة بلاد الشام عبر التاريخ . كما أن أبنيتها شيدت بأيدي محلية وبإشراف مهندسين محليين لقنوا العالم فنود العمارة والنحت والرسوم الجدارية وفن الفسيفساء والفنون الأخرى بجميع فروعها .

كما لا بد من الإشارة إلى أن مبنى البازيليك كان متعدد المهام الرسمية والإدارية إضافةً إلى المهمة العقائدية حيث يجتمع القضاة والهيئة الاستشارية الرسمية والإدارية والدينية ممثلة بالكهنة والفلاسفة وممثلين من كل طبقات المجتمع في المدينة لتدارس شؤون الناس وحل جميع المسائل التي تتعلق بشؤون المجتمع .

وتميز المبنى بمجمله بتعدد المناهج والطرز التي كانت تعرف في كل مرحلة تاريخية ، ومنها على سبيل المثال الأروقة المعمَّدة بجميع النظم من نبطية وكورنثية وإيونية وتوسكانية ودورية ... إلخ . وكذلك الصالات المسقوفة والمكشوفة ، الداخلية والخارجية وجميعها مزينة بأجمل وأدق المنحوتات ذات البواعث البشرية والميثولوجية والنباتية ، وكانت تبرز هذه المنحوتات بشكل عام فوق إطارات الأبواب والنوافذ والكوات والمحاريب والعقود المقنطرة ... إلخ .

وكان على رأس هذه البواعث النباتية الزهور والورود وخاصة زهر الأكانتث وأشجار الكرمة مع عناقيد العنب ، وقد أذهلت هذه المنحوتات التي نفذت فوق الصخور البازلتية الصماء والقاسية عقول جميع الناس وخاصةً كبار النحاتين والمهندسين والفنانين ، كما زينت واجهات المباني الداخلية والخارجية بالعديد من البروزات والنوافذ المغلقة التي كانت تخصص لعرض التماثيل والإنارة والأغراض المتعددة . كما رسمت فوق الجدران الداخلية العديد من اللوحات الجدارية وزينت بالمواضيع المتنوعة كما هي الحال بالنسبة إلى الفسيفساء والمنحوتات .

كما أبدع الفنانون في فرش العديد من اللوحات الفسيفسائية ليس فقط فوق الأرضيات الموجودة في هذا المبنى المركب ، ولكن زينت العديد من مباني المدينة كما هي الحال في المدن المجاورة مثل بصرى وشهبا ... إلخ . وبالطبع فهذا غيض من فيض مما يجب الحديث عنه بما يخص هذه المدينة الرائعة ، مع الأمل في استكمال الحديث في أبحاث لاحقة .

الأسبوع الأدبي

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117240-6117241 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطرأعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

أعلام

جان ألكسان

قاص، روائي، مسرحي، صحفي.
ولد في الحسكة عام 1935.
أمين تحرير الثقافة في دار البعث
رئيس تحرير مجلة «فنون».
عضو جمعية القصة والرواية،
عضو في اتحاد الصحفيين في سورية.

بعض من مؤلفاته المطبوعة:

- القصة القصيرة:
- نداء الأرض- دار اللواء - القامشلي- 1955.
- نهر من الشمال- مطبعة كرم- دمشق 1963.
- الحدود والأسوار - اتحاد الكتاب العرب- دمشق 1970.
- المعاناة -وزارة الإعلام- العراق - 1972.
- جدار في قرية أمامية - اتحاد الكتاب العرب- دمشق 1987.
- المزنة -وزارة الإعلام- العراق - 1979.
- الحوت والزورق - اتحاد الكتاب العرب- دمشق 1982.
- حصان الأحلام القديمة - اتحاد الكتاب العرب- دمشق 1988.
- الرواية:
- النهر - اتحاد الكتاب العرب- دمشق 1979.
- أيام معها- دار الوعي العربي- دمشق -1961 أدب الأطفال (قصة طويلة).
- بيدر من النجوم- منظمة طلائع البعث- دمشق 1979.
- الجسر - منظمة طلائع البعث- دمشق 1982.
- عصافير الجليل - (مسرحية)
- منظمة طلائع البعث- دمشق 1982.
- رحلة إلى الفضاء - منظمة طلائع البعث- دمشق 1986.

آخر الكلام

حين تنعدم إنسانية الإنسان

أ.محمد حديفي

هذه الحرب التي أطلت علينا بوجهها الكالح القبيح، وبثت سمومها في مفاصل المجتمع، وخلخلت الجذور الممتدة ألقاً ونقاءاً في أعماقنا الصافية لم تأت إلينا صدفة رتبتها الأقدار، ولم تكن وليدة اللحظة، وإنما جاءت بعد كثير من التحضير لها، والتخطيط لمسارها، ورسم أهدافها وغاياتها التي أثبتت أنها غايات هدامة تسعى لتدمير كل القيم الإنسانية التي تعمقت رسوخاً مع مرور الأزمان والأيام، وشكلت فينا نبل الأهداف وصفاء السريرة...

حرب سعت إلى تدمير كل ما هو سام ونبيل في النفس البشرية، وأطلق مشعلوها العنان للغرائز التي بدت وفي كثير من الأحيان أنها أبشع وأشرس من غرائز الحيوان، حتى أن مروجي هذه الحرب قاموا ببشاعات يأنف الحيوان من اقترافها، إذ جزّوا الرؤوس، وأحرقوا الأجساد، واغتصبوا الأطفال والنساء أمام ذويهم، ودفنوا الأحياء قبل موتهم، وهذا وغيره إن دلّ على شيء فإنما يدل على أننا أمام وحوش طليقة لا تتورع عن اقتراف أي جريمة بحق إنسانية الإنسان..

وهاهم يقدمون الدليل تلو الدليل ليثبتوا أنهم مجردون من العاطفة والضمير، حتى تبين بأن عاطفة الأبوة أو الأمومة منعدمة تماماً بين رجالهم ونسائهم على حد سواء..

حين بثت أجهزة الإعلام منظر الطفلة المقطعة الأوصال جراء انفجار الحزام الناسف الذي كانت ترتديه كثرت التفسيرات حول ملابسات القضية، وقد تخيلنا جميعاً بأن هذه الطفلة كانت ضحية لإرهابي استغل فقرها وتسولها وحاجتها إلى الطعام والكساء، ومن ثم خدعها وزنرها بحزام ناسف، وأرسلها لمخفر الشرطة بعد أن أقنعها بأنها ستجدَ لديهم الغذاء والكساء اللازمين لاستمرار الحياة في عروقها، وعندها راح كل واحد منا يتخيل شكل هذا المجرم، وطريقته التي اتبعها لإقناع هذه الطفلة البريئة مستغلاً تشردها وفقدها لأهلها بسبب هذه الحرب الضاربة والظالمة التي ابتلينا بها على مدى ما يقارب السنوات الست...

ولم يكن أحد منا يتصور أن الجريمة كانت من تدبير والد ووالدة هذه الطفلة، لأن العقل البشري لا يمكنه ولا بأي شكل من الأشكال أن يتخيل والداً يدفع ابنته الطفلة إلى الموتَ عن سبق إصرار وتصميم، من أجل أن يقتل أبرياء آخرين يواصلون الليل بالنهار سهراً على راحة الشعب السوري وأمنه وحمايته، وكل ذلك ابتغاءاً لحجز مكان لها في الجنة بين الملائكة والقديسين كما صوّر له عقله المريض...

لا أكاد أصدق بأن هذا الأب ينتمي إلى فصيلة البشر، وهنا لابد من التساؤل عن الكيفية التي تم بها مسح أدمغة هؤلاء، وما هي التعاليم التي لُقنت لهم، وفي أي كهف من كهوف العتم والظلام تمت برمجتهم بهذه الطريقة البشعة التي لا تحدث ولا حتى في شريعة الغاب...

قرأنا أن الأب كان يئد ابنته قبل بلوغها سن النضج، وذلك درءاً للعار الذي يمكن أن تسببه له، ولكن الإسلام وبعد نزوله حرّم هذا الفعل الشنيع واعتبره فعلاً منكراً، ومخالفاً لإنسانية الإنسان..

كانوا يئدون بناتهم اتقاءً للعار، أما هذا المجرم فقد وظف ابنته بشكلٍ جعل من جسدها الغض وعقلها الطفل جسراً لقتل الآخرين الأبرياء، وقد بثت بعض محطات التلفزة صورة هذا الأب المجرم وهو يقنع ابنتيه بارتكاب هذا الفعل الشنيع مزيناً لهما الفعل على أنه السبيل الأوحد والأجدى والأسهل لدخول الجنة...

إن التخلص من مثل هؤلاء التكفريين الإرهابيين القتلة فضيلة يؤديها الجيش العربي السوري، وكذلك الشعب السوري لكي يطهروا المجتمع من مثل هؤلاء الذين يشكلون مرضاً أشبه ما يكون بالوباء وأدهى...

وفي سياق الحكاية أن هذا الوالد قد زنرّ ابنته الثانية وهي الأصغر بحزام ناسف وأطلقها أيضاً بعد أن أوصاها باختيار التجمعات والأماكن المكتظة ومن ثم تفجير نفسها وقتل أكبر عدد ممكن من الأبرياء، ولما لم تجد هذه الصغيرة ضالتها عادت إلى والديها وهي تحس بالحرج لأنها لم تستطع تلبية طلبهما بالعجالة التي يطمحان إليها...

والأدهى من ذلك أن والدة هاتين الطفلتين شاركت أيضاً بالجريمة، وحرّضت ابنتيها على سماع كلمة الأب والامتثال لأوامره، وتنفيذ رغبته في قتل الأبرياء...

لا يمكن لعقل بشري أن يصف حجم البشاعة، وقسوة القلب، وانعدام الضمائر لدى هذه الأسرة الوباء الذي يستشري وينخر في جسد المجتمع...

ولو استعدنا سلوك الإرهابيين ومنذ اليوم الأول الذي دخلوا فيه حدودنا، وأقلقوا حياتنا، ودمروا وشردوا ومثلوا بالجثث واغتصبوا النساء ويتموا الأطفال لوجدنا أن هذه هي عقيدتهم، وهذا هو سلوكهم، وهذه هي تربيتهم التي فطروا عليها، ولقنتهم إياها الوهابية السعودية التي تشكل خطراً داهماً وقائماً لا على سورية والوطن العربي فحسب، وإنما على الإنسانية جمعاء...

إن من يجند طفلاً بعمر الزهور ونضارتها، ويزين له أنه يرسم مستقبله الأكثر جمالاً، ثم بعد أن يكسب ثقته يعمد إلى السيطرة على عقله وحواسه ويحركه كما يشاء فيدربه على استعمال السلاح، ويطلب إليه القيام بقتل بالأبرياء بقلب جامد وضمير منعدم...

وهنا يقفز للذهن السؤال الملح دوماً: ترى كم من الوقت يلزم لكي نعيد بناء إنسانية هذا الطفل، وونغسل داخله من كل ما علق به من شوائب؟ وما هي السبل الكفيلة بجعل الأطفال ينسون ما علق بداخلهم من مآسٍ كانوا هم بعض أبطالها في كثير من الأحيان...

في تقديري إن النهوض بأعباء كهذه تقع على عاتق الشعب السوري بكامله، والمطلوب منّه الآن كثيرٌ وكثير جداً، وأعتقد أن هذا الشعب الذي صمد لمدة سنوات ست أمام طوفان الإرهاب هذا قادر على أن يكمل المهمة، حيث أن الأولوية الآن هي لتعاضد الجيش والشعب والقيادة للقضاء على الإرهاب ووئده بكل الطرق والوسائل الممكنة والمتاحة، وهي كثيرة ومتيسرة، وتتأتى من تضافر الجهود وتلاحمها للخلاص من هذا الوباء الذي حل بنا حتى نتفرغ بعد ذلك لإعادة بناء البشر والحجر..

ولسوف يذكر التاريخ وبكثير من الدهشة والاستغراب والاستنكار أيضاً أن ما قاساه الشعب السوري وما كابده وصبر عليه أكبر بكثير مما يمكن أن يتصوره العقل البشري..

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:
أ.د.نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:
أ.محمد حديفي

مدير التحرير:
د.حسن حميد

هيئة التحرير:
د.سليم بركات-سوزان إبراهيم
- غسان كامل ونوس.فادية غيبور-د.يوسف جاد الحق

الإشراف الفني:
نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:
مها حسن

الحقيقة

أريد أن أرى الشمس

رواية على غاية من الأهمية، ليس من حيث موضوعها، وإنما من حيث هي صياغتها الفنية أيضاً، كتبها قلم من المغترب البعيد عن البلاد السورية الواقفة وقفة الوطنية الحقة وهي تدافع عن الجغرافية والتاريخ والاجتماع ومدونات القيم العزيزة في ظل حرب كريهة ممتدة منذ ست سنوات.

كاتب الرواية هو المغترب السوري الأديب يعقوب مراد ابن مدينة محردة/ محافظة حماة. وعنوانها هو (الحقيقة.. أريد أن أرى الشمس) وهي مكتوبة بالأصابع العشرة عن تضحيات أبناء سورية وصمودهم في الخندق الوطني بوجه حملة همجية باطشة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية..

في الرواية أسرار كثيرة ومعلومات متدفقة تدور حول أسباب الحرب، ولماذا وقعت، وما المراد من استهداف سورية، وما الذي تهدفه أمريكا من وراء هذه الحرب، وبيان لمواقف أهل الوطنية والقومية والإنسانية الذين كانوا مع سورية منذ اللحظات الأولى.

أهمية الرواية بادية في جهتين اثنتين، الأولى: أنها رواية موجهة للآخر الذي وقف مع العدوان على سورية وهو لا يعرف مراميه وأهدافه لكي يعود عن غيه وخطله، والثانية: أنها رواية تقول ما قالته المرآة الغربية عن بلادنا كي نعرف ما يجيش في نفوس أبناء الغرب تجاهنا.

وعمل الرواية يقوم على محو هذه الترسيمات البشعة التي تمت بعيداً عن المنطق، والعدالة، وحق الشعوب في الحياة.

جاءت الرواية المطبوعة في مركز التوازن الإعلامي في حوالي (250) صفحة من الحجم الكبير، وتتصدر غلافها الأول صورة من صور الحرب المفروضة على سورية.